حسين بافقيه

الجوائز الأدبية

الحدود والأقنعة

من إصدارات نادي أبها الأدبي
١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

حسين بافقيه

الجوائز الأدبية
الحدود والأقنعة

من إصدارات نادي أبها الأدبي
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

ⓒ نادي أبها الأدبي، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بافقيه ، حسين محمد

الجوائز الأدبية : الحدود والأقنعة - أبها

١٥٢ ص ؛ ١٤× ٢٠ سم.

ردمك ١-٢١-٦٢٣-٩٩٦٠

١- الجوائز والمكافآت - السعودية أ- العنوان

ديوي ٤٤٥٣١ر١١. ١٩/٣٠٢٦

رقم الإيداع : ١٩/٣٠٢٦

ردمك : ١-٢١-٦٢٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الأستاذ (حسين بافقيه) من الكفاءات الإبداعية السعودية في مجال النقد الأدبي وكان للنادي شرف استضافته محاضراً في ملتقى جائزة أبها الثقافي عام ١٤١٨هـ عن هذا الموضوع الحيوي والذي لم يسبق لمفكر أن يطرقه بهذه الموضوعية الناضجة والموثقة..

ولقد طور الكاتب محاضرته إلى هذا السفر الذي أثق أنه سيكون من المصادر العلمية التي يمكن للباحث والدارس الركون إليها، أو التي تسلط الأضواء على ما للثقافة العربية من دور بارز في تحفيز همم المبدعين وتشجيع الموهوبين بما لم تصل إليه ثقافات عالمية أخرى.

نتمنى للقارئ الكريم أوقاتاً ممتعة مع هذا البحث المفيد ولمؤلفه المزيد من التوفيق والسداد.

إدارة النادي

إلى أبهـا:

المديـنـة

والجائـزة

فاتحة

ما الذي يمكن قوله في (الجوائز الأدبية)؟

كان هذا هو السؤال الذي راودني ساعة ولوجي إلى عالَم الجوائز، وهل من جديد أستطيع أن أضيفه، وقد حفلت الصحف اليومية بالأخبار ـ شبه اليومية ـ عن الجوائز والفائزين بها؟ حتى غدا حقل الجوائز يضجّ بالجديد، وحتى صار من المعتاد أن تطالعنا الصحف والمجلات بأخبار أولئك الأثرياء الذين وقفوا جزءاً ضخماً من ثروتهم لتوزيعها على الأدباء والمفكرين والفنانين، عبر احتفاليات موسمية، ينافسون بها المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية التي عنيت بتكريم المبرِّزين في الفنون والعلوم والآداب.

وساعة ولوجي إلى هذا العالَم الحافل بالأرقام، والأضواء، وجدتُ ضالّتي وسط هذا الضجيج، الذي يسيل لُعَاب كلِّ مثقف

وأديب حينما يمنّي نفسه بذلك الحلم اللذيذ؛ حلم أن يتحوّل بين يوم وليلة، من إنسان حافٍ، إلى ثريٍّ متريِّش! وكأنها ليلة من ألف ليلة وليلة، ولكنّها ليلة تضوع برائحة حزم الدولارات، لا برائحة البخور العربيّ المعتّق! حينها أدركتُ ـ وقد حوصرتُ بهذه الجوائز المنبعثة من أعماق الماضي، والتي لا ينتهي ضجيجها، بتبدّل الأيام والسنين ـ أنّ الذي يمكنني قوله، هو محاولة البحث عن منطق هذه الجوائز، وتحويلها من مادّة رقمية تغازل أعيننا كلّ صباح، ونحن نطالع أخبار الصحف، إلى مذبحة يختصم حولها المتحزّبون، وإلى كونها خلاصة الواقع بكلّ تناقضاته وتياراته المتناحرة. هذه الجائزة التي لاينتهي الاختصام حولها، ساعة تسلّم حائزها لها، ولكنّه يبدأ من حينها ولا ينتهي ـ جدلاً دينياً وسياسياً وثقافياً وإيديولوجياً ـ ولذلك كان من المناسب أن تغدو الجوائز ـ وبخاصّةٍ الكبرى ـ مثار جدلٍ سياسيّ وإيديولوجيّ، يتجاوز (فرديّتها)، ليصبح هذا الجدل خلاصةً للصراعات السياسية والإيديولوجية بين كتلةٍ وأخرى، وبين تيار وآخر، وليصل الأمر بها إلى أن تنصهر في المخيال الاجتماعي للشعوب، التي يتساوى لديها أن يحوز منتخبها الكروي كأساً ثمينةً، وأن يحوز مواطن من مواطنيها جائزةً أدبية أو فنية كبرى! فلا بأس في ذلك، ما دام الكأس والجائزة يزيدان في مخيال هذا الشعب أو ذاك.

ولقد كان من همّي ـ وأنا أقارب الجائزة في أعماقها الممتدّة في

التاريخ ـ أن أصلها بسياقها الذي نمت فيه، منذ أن كانت شأناً فردياً، يمثّل علاقة النبيل (المانح) بالشاعر (المادح)، ما يؤكد صلة المثقف التقليدي بالبلاط، تلك الصلة التي يمكن ـ عبرها ـ تفسير الكثير من الظواهر الثقافية والفكرية والاجتماعية التي جعلت من هذه العلاقة أكثر التحاماً في الثقافات القديمة، مع ما تحمله هذه العلاقة من طبيعة تلك المرحلة، التي جعلتْ من العلم والمعرفة شأناً نخبوياً، لا يقف عند هذا الحدّ، لكنّه يتجاوزه ليمارس التشريع للثقافة والفكر والأدب، وهو ما سيتأكّد في تلك الأحكام النقدية والفكرية التي نمت وترعرعت في حِضْن البلاط. إلى أن تغدو الجائزة شأناً مؤسّسياً، يعكس ـ من طَرف خفيّ ـ تلك النقلة النوعية التي كان للمجتمعات الحديثة أن تخطوها، حينما اتسعت دائرتها، باتساع دائرة المعرفة التي تنتجها وتتلقّاها، ومنذ أتاحت آلة الطباعة إخراج الكتاب من دفء القصور التي تستأثر بالمعرفة الباهظة الثمن، التي يحقّقها الكتاب (المخطوط)، ليتسكّع الكتاب (المطبوع) ـ الرخيص الثمن ـ على الأرصفة والمنعطفات، مع العامّة والبسطاء!

والكتاب في أصله محاضرةٌ مطوّلةٌ كنتُ قد ألقيتُها في مهرجان جائزة أبها الثقافية (١٤١٨هـ)،[1] واقتضى طول نصّ

(١) مساء الثلاثاء ١٤١٨/٥/٨هـ. ثم نشرت منجّمةً على ست حلقات في جريدة الرياض تحت عنوان (مذبحة الجائزة)، ما بين شهري جمادى الأولى وجمادى الآخرة من العام نفسه.

المحاضرة تحويلها إلى كتاب، لم أزد فيه على ما ذكرتُه في المحاضرة، إلا ما اقتضاه الفارق الزمني بين زمن المحاضرة وزمن إخراج الكتاب، ما أتاح لي الإطناب في بعض المواضع، وبخاصّة ما له صلة بصناعة الكتاب والنشر في العالم وأثره في الجوائز الأدبية.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتوجّه بالشكر العطِر إلى صاحب السموّ الملكيّ الأمير الشاعر الفنّان خالد الفيصل ابن عبدالعزيز ـ أمير منطقة عسير ـ الذي كان لحضوره واستماعه المحاضرة، الأثر العميق في نفسي، وليس هذا بغريب على من استطاع أن يجعل من (أبها) حاضرةً للسياحة، وحاضنةً للثقافة، مايؤكّد سعة أفقه، ووعيه بأهميّة النظام الثقافيّ في المجتمعات الحديثة، إلى جانب النظام السياسيّ والاقتصاديّ.

حسين بافقيه
١٤١٩/٧/٢٤هـ
١٩٩٨/١١/١٣م

علاميَّة الجائزة

على الرغم من أنّ ظاهرة الجوائز الأدبيّة [1] والعلميّة ممتدّة في أعماق التاريخ، فإنّها غدت وثيقة الصلة بالمجتمعات الحديثة، وكأنها مظهر من مظاهرها الرئيسيّة، فنحن نعيش اليوم في خضمّ عالم من الجوائز التي تتأبّى على الحصر والإحصاء، لكنّها تمثّل (علامةً) ـ بالمعنى السيميولوجيّ ـ من علامات هذا العصر، بكلّ ما تحمله من قيمٍ ومعتقدات، تسهم في صناعة وجه هذه المجتمعات الحديثة، مثلها مثل العلامات السيميائيّة الأخرى (=كرة القدم ـ الكوكا كولا ـ الهامبورغر ..)، التي تجاوزت صورتها الشكليّة الأوّليّة، لتصبح ذات حمولات إيديولوجيّة تقوم ـ بشكل أو بآخر ـ بتشييء الإنسان واستلابه، ونمذجة قيم الأوْرَبة والأمْركة، حتّى أحسب أنّ هذه الجوائز تحوّلت ـ وقد غدت عالَماً من العلامات ـ إلى صناعة دوليّة ـ بالمفهوم الاقتصاديّ ـ مثلها مثل إمبراطوريّة الإعلان والسينما والبورصة، تتوّج من يحوزها، وتزيد في نجوميّته، ولكنّها ـ من طرف آخر ـ تضمن لصانعيها ـ وأغلبهم من الناشرين ـ رواجاً

لهذه السلعة الاقتصاديّة المربحة (= الكتاب)، عبر تلك العائدات الضخمة من الأرقام الفلكيّة التي تتناقلها الصحف والمجلاّت عند اقتراب مواسم الجوائز الأدبيّة المختلفة! إلى جانب أن هذه الجوائز أوجدت في أدبيّات الكتابة المعاصرة مجموعة كبيرة من الكتّاب والمؤلّفين الذين وقفوا جهودهم - أو جزءاً منها - على متابعة حمّى الجوائز، وما يدور في كواليسها من مواقف إيديولوجيّة وسياسيّة وأدبيّة، وأصبح من المعتاد لدى قارئ الصحف والمجلاّت مطالعته - شبه اليوميّة - لأخبار الجوائز [٢]، والأمر ذاته يقال بالنسبة إلى الموسوعات العالميّة؛ حتى غدت الجوائز الأدبيّة والفنيّة مثل الأولمبياد الكرويّ - والرياضيّ - مبنيّةً على التخرّصات والتوقّعات وتلك الطقوس التنبؤيّة التي تشبه في بعض وجوهها قراءة الكفّ : تُرى من سيفوز - بدل يحوز! - جائزة نوبل أو جائزة الملك فيصل العالميّتين؟!

ولا ينتهي موسم الجوائز - وقد أُعلنت - وعاد الحائزوها بالمجد الكبير والمال الوفير، على خير! ولكن يبدأ موسم تلك السجالات الإيديولوجيّة حول أحقيّة من حاز تلك الجائزة، أو عدم أحقيّته، كما نجد ذلك عند انتهاء موسم إعلان جائزة نوبل، أو حتّى إعلان جائزة الدولة التقديريّة في مصر! هذه الجائزة التي لم تسلم منذ عقود طويلة من النّقد والسجال الأدبيّ والإيديولوجيّ الذي يصاحبها - عادةً - بعد إعلان الفائزين بها [٣]، وهذا ما يجعل الجائزة الأدبيّة

والفنّيّة فرديّة من حيث الحصول عليها، ولكنّها اجتماعيّة من حيث أثرها في الحياة الثقافيّة والسياسيّة والعقائديّة، وغدت ـ في نماذجها الإشكاليّة ـ مَشْغَلةً لرجل الشارع العاديّ الذي قد يرى فيها تعدّياً على قيمه وأفكاره، كما تصوّرها له وسائل الإعلام، والسجالات العقائديّة حولها. وإذا كان للجائزة محكّموها المحايدون، فإنّ لها محكّمين معنويّين يتمثلون في تلك القطاعات المختلفة التي تجسّدها المؤسسات الاجتماعيّة المتعدّدة تعدّد التيّارات السياسيّة والدينيّة والأدبيّة، والتي تجيء بمنزلة الجماعات الضاغطة التي يحسب لها ألف حساب في عالمنا المعاصر!

* * *

إنّ ارتباط الجوائز الأدبيّة والفنّيّة ـ على الرغم من قدمها ـ بالمجتمعات الحديثة، يمثّل تحوُّلاً بنيويّاً من الصورة الأرستقراطيّة إلى الصورة الشعبيّة للثقافة والفكر، ذلك التحوُّل الذي ارتبط ـ أساساً ـ بنموّ الطبقة الوسطى المثقّفة، التي كانت مهمّشةً في العصور القديمة والوسيطة، وكذلك، باختراع المطبعة الذي كسر حقّ طبقةٍ بعينها في احتكار الكتاب (المخطوط) المكلف، وجعْل الثقافة، عبر الكتاب (المطبوع)، جزءاً من حياة الطبقات الاجتماعيّة المختلفة، ما غيّر، كثيراً، في شروط المعادلة الاجتماعيّة والفكريّة للمجتمعات الحديثة والمعاصرة، حينما قوّضت المطبعة نخبويّة المعرفة وطبقيّتها، وأصبحت الثقافة والمعرفة، بوصفها سلعةً،

حقّاً مشاعاً لتلك الملايين (الجاهلة)، التي لم تكن تعرف من أمور دينها ودنياها شيئاً، إلاّ ما يقوله من يمتلك تلك السلعة الباهظة الثمن (= المخطوطة)، التي لم يعد لها من قيمة، سوى قيمتها التّاريخيّة، بعد اختراع المطبعة، التي جعلت المعرفة تخرج من أقبية القصور والمعابد، ومن خزانات علية القوم، لتتسكّع مع البسطاء على أرصفة الشوارع، وزوايا المقاهي، بل أصبحت تتجوّل - بالمعنى الحقيقيّ لا المجازيّ - في الشوارع والطرقات، بعد أن كانت حبيسة في أروقة علية القوم محرومة من ضوء الشمس قروناً بعد قرون! ومنذ أن تحوّل الأدب إلى مفهوم مغاير، فغدا (لاتكسبياً)، منذ ارتبط بالجماهير الغفيرة عبر (آلة الطباعة) التي"... جعلت العلم ديموقراطياً، وجعلت الشعوب هي التي تكافئ العلماء .."(٤).

كان من الطبيعيّ - وقد انتقل الكتاب من طور المخطوط إلى طور المطبوع - أن تخرج الجوائز الأدبيّة والفنّيّة، من مرحلة (الفردانيّة) التي تمثّل ما يخلعه الخليفة - أو الوالي - على شاعر من الشعراء من خلع سنيّة، أو جواهر ساحرة يملأ بها فمه حتى لا يقول بعد ذلك إلا ما ينال رضا سدّة الخلافة! إلى مرحلة (المؤسّسيّة) التي تعكس، من وجه آخر، انتقال المجتمعات الحديثة من شكل أحاديّة السلطة، إلى شكل الدولة المدنيّة الحديثة (= دولة المؤسّسات) التي تحتلّ المؤسّسة الثقافيّة فيها، وضعاً متفرّداً ضمن مجموعة مؤسساتها المختلفة،".. فلم يعد الشّاعر يقف في ديوان

الخلافة. . . ليتلقّى بعد إلقائه خلعةً سنيّة، وإنّما أصبح يقدّم ديوانه إلى لجان الجوائز لتقرّر أحقيّتها بشيء منها . ."[٥]، وهو ما لعلّه أن يعكس ـ كذلك ـ ارتباط الثقافة والفكر والأدب بحركة الواقع الاجتماعيّ، حينما انتقلت الجائزة من بلاط الخليفة والسلطان ورأيه وذوقه، إلى الشكل المؤسّسيّ للثقافة، كما نرى الآن في جائزة نوبل العالميّة المنطلقة من مؤسّسة نوبل والاكاديميّة السويديّة، أو جائزة الملك فيصل العالميّة المنطلقة من مؤسّسة الملك فيصل الخيريّة.

وتحدّد الجائزة منذ القدم تلك العلاقة المتشابكة بين المثقف والسلطة ـ أيّاً كانت ـ الشاعر (المادح)، والسلطان (المانح)! ما يعكس تلك العلاقة الرأسيّة بين المال والثقافة، وأيّهما يخضع لشروط الآخر، وإن كانت المسألة حُسِمتْ في نهاية الأمر لمصلحة المال لا الثقافة، لأنّ من يملك المال كان هو المقصود والممدوح والمطلوب، ما جعل المثقّف (الشاعر هنا) يخضع لشروط الممدوح وذوقه وهواه [٦]، ومن هنا نشأت تلك الآراء والنظريّات التي تحاول أن تقارب هذه العلاقة، التي كان لها في الأخير أن تبرهن على دور البلاط في ازدهار الفنون والآداب من عدمه، وهل يمكن الفنّ أن يزدهر على مبعدةٍ منها؟ ما عاد إلى دور السلطة في توجيه دفّة الآداب والفنون، لا بتشجيعها وإنمائها، ولكن ـ وهذا الأخطر ـ عن طريق فرض قيم أدبيّة وفكريّة على الشعراء والفلاسفة. يغدو البلاط، عندها، هو الميزان النقديّ الذي يحتكم إلى ذوقه الشعراء

ويدور في فلكه المثقفون، ما يعلي من سلطة المال مقابلة بسلطة الفنّ! فاندفع الشعراء" .. نحو القصور، يقفون بأبوابها الأيّام والشّهور، حتّى يؤذَن لهم، وأصبح الشعراء والفنّانون أداةً من أدوات الزينة، وطرفةً جميلةً تُحَلّى بها الدور والقصور .." (٧)، وهو ما سينعكس ـ فيما بعد ـ على الخطاب الثقافيّ العامّ، حيث تغدو مقولات معاوية وعبد الملك والمأمون أصلاً يحتكم إليه النقّاد في تفضيل شاعر على شاعر، أو تيّار على تيّار. (٨)

ولا تقف علاقة المال بالثقافة عند حدود الشاعر(المادِح) والسُّلطان (المانِح)، بل تتعدّى ذلك إلى الارتباط العضويّ فيما بينهما، ذلك الارتباط الذي جعل من الاقتصاد أساساً للعمل الإبداعي والفكري الإنسانيين، وهو ما لعله أن يتفق مع النظرية التي تقول بكون العمل أساساً في نشأة الفنون الجميلة ـ ومن بينها الشعر ـ وذلك " .. أن حركات العمل الطبيعية المنتظمة، ولا سيما حركات العمل الجماعي، كانت تحثّ من تلقاء نفسها على التغني بأغانٍ موزونة مصاحبة للعمل وميسرة له تيسيراً نفسياً .." (٩)، أو تلك العلاقة السببية التي جعلت من البلاغة/الخطابة انبثاقاً طبيعيّاً لذلك الصّراع الاجتماعيّ والاقتصاديّ حول ملكيّة الأراضي المتنازع عليها، حيث أدّت المنازعات القضائيّة حولَ تلك المِلْكيّة (في اليونان) إلى نشأة البلاغة من رحم ذلك النزاع الاقتصاديّ الذي استدعى ـ كما يذكر رولان بارت ـ أن " .. تعبِّئ هيئات

شعبيَّة كبرى من المحلَّفين، والتي كان يلزم، لإقناعها، التمتُّع بـ "الفصاحة"، هذه "الفصاحة" المتضمَّنة في آن معاً للديموقراطيَّة والديماغوجيَّة، وللقضاء السِّياسيّ ... سرعان ما أصبحت موضوعاً للتدريس .." [١٠]، وهو ما نجده واضحاً في الثقافة العربية القديمة، التي تنظر إلى (المال) بوصفه آلية قوية للحدث الشعري، ومن ذلك تلك المقولة النقدية الذائعة، المنسوبة إلى الأصمعي: " أشعر الناس امرؤ القيس إذا غضب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب" [١١]، ما يعني أهمية هذا القول الذي يجعل ".. " الرغبة" في المال إحدى العواطف الكبرى المتسببة في الشعر .." [١٢]، ومن ثم ارتبطت مسألة (الإكثار) و(الإقلال) في الشعر العربي بارتباط الشاعر بالتكسب أو عدمه[١٣]، ولذلك غدا ارتباط الشاعر بـ(البلاط) أساساً نقدياً من أسس تقييم النقّاد لشعر الشعراء، حتى ليمكن القول إنّ ".. نقادنا القدماء كانت ذهنيتهم النقدية بلاطية، مساوقة لاتجاه الشعر المتكسب في رحاب السادة والكبراء.."[١٤]، ومن هنا أسقط النقاد من لم يجعل شعره وسيلة لمدح الخلفاء ونيل عطاياهم، وتربَّع شعر المديح سنام الإبداع الشعري في الذائقة النقدية العربية؛ فهذا ذو الرمة الذي عدّه ابن قتيبة أحسن الناس تشبيهاً، لم يسقطه القوم إلا لكونه لايجيد المديح! وذلك ربيعة الرقي سقط شعرياً ـ كما يذكر أبو الفرج الأصبهاني ـ بسبب ".. بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء"! [١٥]، بل إنّ الجاحظ يُعيد الأساس

الفنّي لـ (عبيد الشعر) في العصر الجاهلي، إلى ارتباط شعرهم بالسادة والكبراء! لأنّ " من تكسّب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة، في قصائد السماطين، وبالطوال التي تنشد يوم الحفل، لم يجد بداً، من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما، فإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب، اقتداراً عليه، وثقةً بحسن عادة الله عندهم فيه . . "[١٦].

ولقد تعدّدت أشكال الجائزة في تراثنا العربيّ الإسلاميّ، وكان لها أثرها في تتويج الشعراء، وذيوع إبداعهم في كلّ الأرجاء، بدءاً من القصائد التي اختارتها (ندوة) قريش، وعلّقتها على جدران الكعبة [١٧]، والتي كانت تمثّل دور قريش في الهيمنة على مقاليد الحياة العربيّة، إذ يصبح المقياس الفنّيّ خاضعاً للشروط الفنّيّة واللغويّة والاقتصاديّة التي يحدّدها الملأ القرشيّ، وهو ما حقّق لأولئك النفر من الشعراء الجاهليين مجداً تليداً في ثقافتنا العربيّة أبد الدهر! مروراً بأعطيات هرم بن سنان لزهير بن أبي سُلمى على مدائحه، إلى دور سوق عكاظ الأدبيّ، ووفادة الأعشى وحسّان والنّابغة الذبياني وغيرهم من الشعراء المدّاحين الجوّابين على بلاطات ملوك العرب في الجاهليّة [١٨]، وجائزة الرسول الأعظم ـ صلّى الله

عليه وسلّم ـ (= البردة) التي خلّدت شعر كعب بن زهير، إلى تلك الخلع السنيّة التي يخلعها الخلفاء على الشعراء والأدباء والكتّاب، بل الرواتب المفروضة للعلماء والأدباء والنّحويّين، وبخاصّة في العصر العبّاسيّ، فهذا الزجّاج ـ تلميذ المبرِّد ـ "٠٠ قد جعل المعتضد له راتباً في الفقهاء وراتباً في العلماء وراتباً في الندماء٠٠" (١٩). بل إن الخلفاء والولاة تفننوا في ألوان الجوائز، وذلك بإسناد وظائف مرموقة للشعراء المدّاحين، كما في تولية الرشيد نصيباً الأصغر بعض كور الشام، وتسمية أحد الولاة الشاعر مسلم بن الوليد عاملاً على سمنجان، وتعيين المأمون دعبل الخزاعي عاملاً على أسوان(٢٠)، وهو ما جعل لهذه الجوائز أثراً بالغاً في انتشار حركة التأليف والترجمة، محقّقة علاقة إيجابيّة بين السلطة والمثقفين، التي انعكست على تلك النهضة العلمية والفكرية الكبرى التي عاشتها الثقافة العربيّة الإسلاميّة في ظلّ الرشيد والمأمون ودار الحكمة، والأثر الفاعل لأولئك الخلفاء والولاة الذين رعوا العلوم والآداب، وكانت رعايتهم تلك سبباً رئيسيّاً في نهضة الأمّة وتقدّمها، وهو ما نجد صداه ماثلاً في تلك المؤلّفات التي تهدى إلى الخلفاء والأمراء والوزراء، والتي تقابل بتلك المنح والعطايا التي كفلت لأصحابها من المبدعين حياة مستقرّة، هيّأت لهم يساراً في العيش، انعكس على إبداعاتهم المتميِّزة، كما في تلك التآليف التي رصدها جرجي زيدان، والتي أهديت إلى الخلفاء والولاة، حيث أهدى ابن إسحاق مغازيه للمنصور، وابن بكّار الموفقيّات للموفق بالله،

والرازي المنصوريّ للمنصور بن إسحاق، والحريري مقاماته لأنوشروان وزير المسترشد، ونظم الفردوسي الشاهنامة للسلطان محمود الغزنوي على أن يعطيه على كل بيت ديناراً، فبلغت ستين ألف بيت! [٢١] هذا إلى أن ظاهرة تأليف الكتب بناءً على طلب الخليفة أو الوزير أو الوالي كانت شائعة في ذلك الزمان، فالمأمون - على سبيل المثال - "٠٠ هو الذي أمر الفرّاء بجمع أصول النحو وأخلاه في غرفة وأطلق له الأموال فزها العلم في أيامه وخصوصاً الفلسفة لأنه كان يحبها ."[٢٢]، حتى أنه ندر أن يؤلّف عالمٌ كتاباً من غير أن يُكلَّف بذلك "٠٠ ومن لطيف ما جاء في مقدمة كتاب الحيوان للدميري قوله: "هذا الكتاب لم يسألني أحدٌ تأليفه"!! [٢٣] إلى آخر تلك الروايات التي تظهر الثقافة العربية القديمة بوصفها ثقافة (الكتاب) تأليفاً ورعايةً ونشراً وقراءةً، فكما خُصِّصت جوائز للمؤلفين والأدباء، فلقد خُصِّصت جوائز للقراء في التراث العربي الإسلامي، فهذا "٠٠ الملك المعظَّم شرف الدين عيسى الأيوبيّ ٠٠٠ اشترط لكل من يحفظ كتاب المفصَّل للزمخشري مئة دينار وخلعة، فحفظه جماعة كبيرة"! [٢٤] وفي الوقت الذي استقطبت البلاطات نفراً من المبدعين من الشعراء والأدباء والفلاسفة والنحويين والفقهاء، لفظت تلك البلاطات مبدعين آخرين وأحدث حرمانهم من الجوائز السنيّة إحباطاً نفسيّاً قاتلاً، كما في حالة أبي حيّان التوحيديّ وقصّته المرّة مع أصحاب العطايا والمنح، التي انتهت بأن أحرق كتبه التي كانت فال شؤم عليه، وعاش حياته فقيراً مدقعاً

يأكل من حشائش الصحراء، [٢٥] وهو المبدع الكبير! هذا إلى أنّ روح التنافس والبحث عن الصدارة الاجتماعيّة بين الأمراء والوزراء - وخاصّة عندما تعدّدت الدول والولايات في العصر العبّاسيّ - انعكست على نهضة الفنون والعلوم والآداب في تلك البلاطات المختلفة، المتنازعة سياسيّاً ومذهبيّاً (العبّاسيين، والفاطميّين، والأمويين في الأندلس، والبويهيين، والسلاجقة، والغزنويّين ..)، ما خفّف من هيمنة السلطة على الثقافة، حينما غدا المثقّف المبدع سلعةً رائجةً، وعملةً صعبةً تغازلها كلّ تلك البلاطات مجتمعة، كما حدث مع المتنبي وأبي العلاء المعرّيّ وآخرين! [٢٦] ".. وحتى نرى الأمراء الأتراك الذين لا يحسنون العربيّة يحبّون أن تتزيّن قصورهم بالعلماء والأدباء .."، ما دعا بجكم التركيّ إلى أن يقول: ".. أنا إنسان، وإن كنت لا أحسن العلوم والآداب أحبّ ألاّ يكون في الأرض أديب ولا عالم ولا رأس في صناعة إلا كان في جنبتي وتحت اصطناعي وبين يديّ لا يفارقني .." [٢٧].

وترتبط الجائزة - وما يدور في فلكها من العطايا والمِنح - في التراث العربيّ الإسلاميّ بطبيعة البناء الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وصورة السلطة السياسيّة، التي كانت تجمع في شخص واحد مؤسّسات الدولة مجتمعةً، ووضع المثقّف (الشاعر - الأديب - الفقيه - المحدّث - المفسّر - المؤرّخ ..) الطبقيّ والاقتصاديّ، وعلاقته بالمجتمع، ومن ثمّة بالسلطة. وهي مسألة ترجع إلى انتقال الشاعر

العربيّ ما قبل الإسلام ـ في بعض ممثّليه ـ من شاعر القبيلة وصوتها، إلى شاعر البلاط ـ الغساسنة في الشّام، والمناذرة في العراق ـ [٢٨]، وترجع هذه الظاهرة إلى المجتمع العربي في الجاهلية، الذي فرض على (الشاعر) أن يكون ملتزماً بالمصلحة الاجتماعية للقبيلة، مسهماً بشعره في حلّ النزاعات الحادثة بين القبائل، ماجعل قصيدة المدح في أساس نشأتها ذات همّ اجتماعي لا فردي، في الدفاع عن مصالح القبيلة، والذود عن حماها، ومن ثمّ كانت قصيدة (المديح) نتيجة حتمية لشبكة العلاقات الاجتماعية (القبلية)، تجعلها بمنزلة صمام الأمان، أو ورقة التوازن في ذلك المجتمع الصحراوي الممزّق، وهو ما جعلها ـ في مرحلتها الأولى ـ كما يقول وهب رومية ـ مبرّأة ومن الاستجداء ". . فهي لاتسأل ولاتستجدي . . . بل تشكّل الصنيع الجميل لأهله وتحمده. ."[٢٩]، وهو ما كان قد أشار إليه ابن رشيق في تحليله لظاهرة المديح في الشعر العربي، بقوله "وكانت العرب لاتتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يدٍ لايستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها" [٣٠]، فكانت القصيدة في هذه المرحلة التي لا تطلب من ورائها إلا الشكر والعرفان

". . تحتفل بمديح الجماعة أحياناً أو حمدها، ثم لا تخص أحداً بالثناء دون سواه . . وهي . . . بطاقة شكر رقيقة ودود لايرى

فيها الشعراء ضيراً ـ أي ضير ـ مهما اختلفت منازلهم، ومن هنا كنا نجد شاعراً ملكاً كامرئ القيس يمدح، وشاعراً يزدهيه الشباب والإباء والعنفوان كطرفة بن العبد يمدح، وشاعراً زعيماً كعمرو ابن كلثوم يمدح أيضاً "(٣١).

غير أن هذا المعنى المثالي لقصيدة الحمد والعرفان لم يكتب له الاستمرار والذيوع في الشعر العربي، وذلك لطبيعة البنى الاجتماعية والاقتصادية للحياة العربية قبل الإسلام، فضلاً عن العوامل الطبيعية التي ألجأت الشاعر العربي لأن يكون شاعراً مداحاً متكسباً بشعره، نتيجة الصدامات القبلية التي استعر أوارها مع الإمارات العربية المبكرة في العصور العربية القريبة من الإسلام، كإمارة المناذرة في الحيرة، وإمارة الغساسنة في الشام، وإمارة كندة في نجد، وهيمنة تلك الإمارات على حركة التجارة، وأماكن الرعي، وآبار الماء، ما هيّأ بدء الاصطدام بين القبائل العربية البدوية، بتلك الإمارات الحضرية، على أطراف الجزيرة العربية، وانكسارها ـ من ثمّ ـ في حروبها مع تلك الإمارات، ولذلك كان من الطبيعي ـ في ظلّ مكانة الشاعر الكبرى في المجتمع العربي في الجاهلية ـ أن يتحوّل الشعر إلى (سلاح) و(سلعة) في وقت واحد، دفاعاً عن مصالح القبيلة، من جهة، أو سفارةً بين القبائل والإمارات للصلح والمهادنة وفكّ الأسرى، ما يعني أنّ (قصيد) الشاعر غدا (عملةً) قابلة (للصرف)، فارتبط في وعي الشاعر ـ أو لا وعيه ـ مصلحة القبيلة، مع مصلحته الفردية، "... وأصبحنا نسمع لأول مرّة صوت المال

في القصيدة العربية، وهو صوت لا يلغي صوت القبيلة، ولكنه يقف إلى جواره منافساً وشريكاً . . " (٣٢).

إلى جانب أن هناك عاملاً آخر سمح بظهور قصيدة التكسّب وطلب العطايا والجوائز في الشعر الجاهلي ـ على وجه خاصّ ـ يتحدّد في العلاقة ما بين (البادية) و(المدينة)، اللتين تتحكم في مقدراتهما عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية، نتجت عن حياة الجدب والقحط في صحراء الجزيرة العربية، إضافة إلى النزاعات القبلية التي لا تنتهي، وانهيار الكيانات العربية المدنيّة في الحيرة والشام واليمن بسبب انقضاض القوى الأجنبية الكبرى (الروم والفرس والأحباش) على تلك الكيانات العربية المدنية، وهو ما أدّى، في نهاية المطاف، إلى تقويض البنى الاقتصادية التقليدية لحركة التجارة القديمة من الهند إلى الخليج العربي، وتحوُّل طرق التجارة ـ من ثمّ ـ إلى الطرف الغربي من جزيرة العرب (مكة المكرمة)، ونموّ حركة التجارة فيها، وتكوُّن طبقة كبار الأثرياء والمرابين في المجتمع المكي (الجاهلي)(٣٣)، مقابل دحر الكيانات المدنية والقبلية في شمال الجزيرة العربية ووسطها وجنوبها، فطَغَتْ ـ جرّاء ذلك ـ " . . قيمة المال على سواها وتوارت قيم وجدّتْ أخرى"(٣٤)، وغدا (المال) من حينها أساساً للصراع الاجتماعي والثقافي في المجتمع العربي، وفرض قيمه على الإبداع والثقافة، فنمت ـ تبعاً لذلك ـ قصيدة التكسّب في (المدينة)، في الوقت الذي

احتضنت فيه (البادية) قصيدة المدح، سواء المقيمة كما لدى زهير، أو المنتجعة كما لدى النابغة الذبياني. (٣٥)

واستمرّ صعود قيم (المال) ـ بعد ذلك ـ في العصر الإسلامي، بسبب الفتوحات وتوسع دائرة المدينة العربية، ونموّ طبقة الأثرياء الفاحشة الثراء، وتمركز العطاء في المدن الإسلامية الجديدة، وحرمان أبناء البادية منه (٣٦)، واستصفاء عددٍ من الخلفاء وذويهم للأراضي الجديدة في البلدان المفتوحة، ما جعل عدداً من الشعراء المنتسبين إلى القبائل البدوية يفدون إلى مدن الحجاز ـ ومن ثم دمشق ـ طلباً للعطاء، ورغبةً في جوائز الممدوحين (٣٧)، خاصة أن بلاط الإمارات في الجاهلية، والخلفاء في الإسلام ـ إلى جانب الأثرياء ـ قد أسهم، بسبب عوامل الصراع السياسي في استغلال المواهب الفنية للشعراء، في خدمة ربّ البلاط، أو الثريّ الذي جعل من نفسه أحد حماة الأدب ورعاته!

ويبدو أن المعنى الاجتماعيّ للشعر في الثقافة العربية القديمة قد سمح بهذا التطوّر الذي طرأ على القصيدة العربية، من قصيدة (الشكر والعرفان)، إلى قصيدة (التكسّب)، عبر ذلك المعنى الاجتماعي للشعر الذي يحدّده قول عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ "خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرجل بين يديْ حاجته، يستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم" (٣٨)، وهي الصورة النّظريّة لذلك التطبيق العمليّ الذي نجده لدى الشعراء المتكسّبين،

والحطيئة ـ في مقدّمتهم ـ الذي كان يعي هذه المسألة جيّداً، حينما قيل له: "إيّاك وهجاء النّاس! فقال: إذن يموت عيالي جوعاً. هذا مكسبي ومنه معاشي"! (٣٩) بل أصبح الشّعر على يد الأعشى "... متجراً يتّجر به نحو البلدان ..."، كما يذكر ابن رشيق،(٤٠) وهو ما وجد له ذيوعاً وانتشاراً بعد الإسلام، بسبب تلك التيّارات السياسيّة والمذهبيّة التي كان لها أن تحترب حول الخلافة، التي تمركزت في يد مجموعةٍ بعينها، استطاعت أن تجعل من جوائز الشعراء طُعْماً لإسباغ الشرعيّة عليهم، ومنافحة خصومهم ـ كما في حالة الأمويّين والعبّاسيّين من بعدهم ـ الذين نجحوا في استغلال طبيعة البناء الاقتصاديّ الذي يخوّلهم تقسيم (العَطاء)(٤١) بوصفه جزءاً من بنية المؤسّسة السّياسيّة الإسلاميّة، على مستحقّيه، بحسب ما تشير إليه أدبيّات الفقه الإسلاميّ، فيما يخدم مصالحهم السياسيّة، ومن ثمّ غدت أولويّات (العَطاء) مقصورةً ـ في عموميّتها ـ على من يدعم تلك المصالح، في الوقت الذي تغيّر فيه العطاء من حقّ عام إلى جائزة خاصّة!

إنّ ترادف مصطلحي (العطاء والجائزة) في الكثير من استعمال الأدبيّات التراثيّة العربيّة، يمكنه أن يفسّر لنا، الطبيعة الاجتماعيّة والاقتصاديّة لصورة (الجائزة)، التي كان يُنْظَرُ إليها بوصفها حقّاً طبيعيّاً (شرعيّاً) للرعيّة على الخليفة الذي تجتمع فيه مختلف السُلَط والمؤسّسات، بما فيها المؤسّسة الاقتصاديّة، التي يعبّر عنها بـ

(بيت مال المسلمين)، ففي(العقد الفريد) أنّ إبراهيم بن الأغلب، المعروف بزيادة الله

"أمر .. بمال يقسّم على الفقهاء، فكان منهم من قبل ومنهم من لم يقبل، فكان أسد بن الفرات فيمن قبل، فجعل زيادة الله يغمص على كل من قبل منهم، فبلغ ذلك أسد بن الفرات، فقال: لاعليه، إنما أخذنا بعض حقوقنا والله سائله عمّا بقي "! (٤٢)

ويذكر ابن رشيق أن " عبد الله بن عمر على جلالته، والحسن البصريّ، وعكرمة، ومالك بن أنس المدنيّ وجملة من أهل العلم غير هؤلاء، كانوا يقبلون صلات الملوك" (٤٣)، فلم يكن العربيّ ليشعر، وهو يفِدُ إلى الخليفة، بأنّه يطلب ما ليس له، بل كان يشعر أنّ له حقّاً شرعيّاً في بيت مال المسلمين يمثّله (العطاء) الذي تحوّل - في بعض صوره - إلى (جائزةٍ) مشروطة يجيز بها الخليفة من حاز رضاه، وبحسب ذوقه، هو، وهواه! ويغضّ الطّرف عمّن نظر إليه - أي العطاء - بوصفه حقّاً من حقوق المسلمين في بيت مالهم، كما حدث للراعي النُّميريّ حينما أنشد عبد الملك بن مروان قصيدته التي شكا فيها ظلم السُّعاة:

أخليفة الرحمن إنّا معشرٌ حنفاء نسجد بكرةً وأصيلا

عربٌ نرى لله في أموالنا حقّ الزكاةِ، منزّلاً تنزيلا

فما كان من عبد الملك، وقد أدرك غايته، إلا أن قال له:

"ليس هذا شعراً، هذا شرح إسلام، وقراءة آية "![٤٤] ويبدو أنّ الشعراء عرفوا شروط العقد الأدبيّ بينهم وبين ممدوحيهم، وهو النُّزول عند شروط (الجائزة) لا (الفنّ)، والاحتكام إلى ذوق أمير المؤمنين، لا الضمير الأدبيّ، فصار من الطبيعيّ أن تفخر العرب ـ كما يذكر ابن عبد ربِّه ـ "... بأخذ جوائز الملوك، وكان من أشرف ما يتموّلونه .."[٤٥]، وأن يتماهى مال المسلمين مع خليفة المسلمين، كما في قول ذي الرُّمَّة الذي يفخر بأنّ ماله لم يكن من تراث آبائه، ولكن من عطايا أمير المؤمنين:

وما كان مالي من تراثٍ ورثته ولا ديةٍ كانت ولا كسب مأثمِ

ولكن عطاء الله من كلِّ رحلةٍ إلى كلِّ محجوب السّرادق خِضْرَمِ[٤٦]

إنّ ارتباط المثقّف ـ في العصور القديمة ـ بالسلطة، غدا أمراً حتمياً، نتيجة انعدام فرص العمل، وارتباط الأدب بكونه أداةً اجتماعيّة فاعلة، وتمركز العطاء في أيدي المؤسّسة السياسيّة الذي يكفل إحكام هيمنتها، وتسخيره وفق مشيئتها، فأصبح بلاط الخلفاء والولاة والوزراء مهوى أفئدة الشعراء والأدباء والفلاسفة والنحويّين والفقهاء .. إلخ، ما جعل تلك البلاطات بمنزلة المتلقي الأوّل لتلك الثقافة، التي لم يكن أمامها من خيار سوى أن تنمو في أروقة القصور، أو أن تذبل وتموت نتيجة ارتباط (حرفة الأدب)، في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، بالعَوَز والفقر، [٤٧] وهو ما أسهم في نخبويّة المعرفة، وحدّد توجُّهاتها، فالأدب إن لم يقُدْ إلى البلاط،

مصدرُ شؤمٍ على صاحبه، وأصبح مما يُتَطيَّر منه! [٤٨] وإن وُجد لأديب حرفة يتعيَّش منها، غير أدبه، دخل في باب عجائب الزَّمان[٤٩]، وهذا ما تنبئ به سير كثير من الأدباء الذين سُدَّ في وجوههم الطريق إلى البلاط، فالتحفوا الفقر والحاجة، نظراً لتعقد شبكة العلاقات الاجتماعية، بسبب تطور المجتمع العربي، بفضل الفتوحات التي راكمت الثروة، التي تجمَّعت في أيدي فئة قليلة من المتنفِّذين، واحتفاظ مواقع عربية بعينها كـ (المدن) بالرفاهية والترف، وسيطرة الجدب والمجاعة على سكان الصحاري في الجزيرة العربية، واختلاف القيم الأخلاقية والاجتماعية التي أعلت، هنا، قيمة المال على كلّ قيمة سواها، حتى "... صار المال ميزان الرجال، وأصبح من الأمثلة الجارية في مدينة كبغداد ـ مثلاً ـ: "المال المال وما سواه محال" .." [٥٠]، وأضحى من المألوف دخول موضوعة (المال) والسعي في طلبه في بنية اللغة الشعريّة، كقول أبي نواس الدالّ:

سأبغي الغنى : إما جليس خليفة نقوم سواء أو مخيف سبيل

أو قوله في مدح الخصيب:

وكذاك نعم السوق أنت لمن كسدت عليه تجارة الشعرِ

أو قوله:

وبلادٍ في بلادٍ أوحش البلدان طرقا

قد شققتُ الليل عنها ببنات الريح شقّا
فوقها الودّ المصفّى والمديح المتنَقّى

أو قول أبي تمام:

وحياة القريض إحياؤك الجو دَ فإنْ مات الجودُ مات القريضُ

أو قول البحتري:

لا تخفْ عيلتي وتلك القوافي بيت مالٍ ماأن أخاف ذهابه(٥١)

ولذلك توعّد أبو العلاء المعرّيّ، في رسالة الغفران، من حدّثته نفسه الأمّارة بالأدب، بأنّ "٠٠ من أراد أن يتكسّب بهذا الفنّ، فقد أودع شرابه في شَنّ، غير ثقةٍ على الوديعة، بل هي منه في صاحب خديعة ٠٠"! (٥٢) ولم يكن ارتباط الأدب بـ (الحُرْفة) والفقر من باب ذرّ الرّماد في العيون، أو طرفةً يُتَلَهّى بها، بل كان جزءاً من الوضع الاقتصاديّ لـ (المثقّف) في العصور القديمة والوسيطة، بسبب انعدام أدوات الإنتاج التي تخلق له جمهوراً شعبيّاً واسعاً، خارج أروقة القصور، وسُدّة الخلافة، وغياب مفهوم (النّاشر) بصورته الحديثة والمعاصرة، الذي وسّع من دائرة القرّاء، وقوّض، ابتداءً من ظهور المطبعة، نخبويّة المعرفة، ووصل المؤلّف ـ لأوّل مرّة فيما يبدو ـ بقرّائه، الذين تعني زيادتهم، مداخيل أكبر، ووضعاً ماديّاً أكثر طمأنينةً، وحداً من الهيمنة الاقتصاديّة التي تحدّدها علاقة (المادح) بـ (المانح)، والتي هي أقرب ما تكون بعلاقة "٠٠ الزبون بربّ

العمل . . " (٥٣)، وأصبحت صورة المثقّف ـ مع ظهور المطبعة ونموّ الطبقة الوسطى ـ متغيِّرةً عمّا سبق، إذ شرع يتوجّه بإبداعه وفكره إلى متلقٍّ تجريديّ، هو (الجمهور)، ما أتاح له حريّةً فكريّةً كبرى، مقابلةً بوضع المثقّف في التراث العربيّ الإسلاميّ ـ والقديم عموماً ـ الذي لم يكن ليضمن استقراراً ماديّاً لو انصرف بأدبه إلى ذاته ومجتمعه، دون أن يكون تحت رعاية نصير الآداب وحمايته، نظراً لبدائيّة أدوات الإنتاج، التي لم تجعل من الكتاب صناعةً بالمفهوم الاقتصاديّ، فيما لو أراد الانصراف إلى الجمهور فقط. فالكتاب العظيم ـ يقول أحمد أمين ـ

" . . . ينسخ الورّاقون منه عشر نسخ أو خمسين أو مئة لاتسمن ولا تغني من جوع. فلم يكن التأليف مصدر ثروة، إنّما مصدر ثروة العلماء والأدباء هو اتصالهم بالخلفاء والأمراء؛ أمّا من لم يتّصل بهم وبعد عنهم، فمصيره الفقر، إلا أن يكون ذا ثروة موروثة . . " (٥٤).

ولذلك فإنّ حرية القول مرتهنة بالصلة الاقتصادية بين المثقف والبلاط، أو استقلال أحدهما عن الآخر، وذلك في أن يضمن (المثقف) مهنة يتعيّش منها، وتكفل له فضاء من الحرية، في أن يخالف رأي (البلاط) وتوجّهه، كما في حالة الكميت والطرمّاح اللذين امتهنا تعليم الصبيان (٥٥)، ولكنّ المسألة ـ في ظلّ هيمنة البلاط على التشريع للثقافة وللذوق الأدبي ـ وعدم توسّع الطبقة

المتوسطة، وتحوُّل (الثقافة) إلى سلعة قابلة للرواج أو الكساد، وتقلُّص واردات الدولة من الأموال والضرائب ـ بسبب الفتن السياسية المتتالية، وتوقف حركة الفتوحات ـ ضيَّقتْ من إمكانات تكسُّب المثقف من ثقافته، فكان من الضروري ارتباطه بمهنة ما، حتى لو كانت وضيعة، كامتهان بيع الصبغ، كما في حالة أبي بكر البصريّ، أو الخياطة، كما في حالة أبي العبّاس الخيّاط الفقيه الشافعي[٥٦]، أو الوراقة التي كانت مصدر شقاء المبدع الكبير أبي حيّان التوحيديّ[٥٧]، ولا أدري ماذا سيقول التوحيديّ الذي اضطره فقره أن يأكل من حشائش الصحراء، لو عرف أنّ الأدب ما عاد (حُرْفةً)، ولكنّه غدا (حِرْفةً)! حينما اختلف وضع الأدب في عصرنا الحاضر، كما نرى لدى بعض الأدباء والكتّاب الذين اغتنوا ـ من ورائه ـ غناءً فاحشاً، كالشاعر البريطانيّ الشابّ موراي لاتشلان، الذي كفل له شعره الذي سُجِّل على اسطوانات مطروحة للتسويق مبلغ مليون جنيه إسترلينيّ! أو حصوله على مبلغ مئتين وخمسين ألف جنيه إسترليني ـ كذلك ـ مقابل إلقائه بعض أعماله في برنامج تلفزيونيّ![٥٨]

ولعلَّ شيوع ظاهرة المديح في الشعر العربيّ، تعود إلى هذه العلاقة الحتميَّة بين الشاعر (المادح) والنبيل (المانح)! إذ إن نخبوية المعرفة الماثلة في كون الكتاب ـ آنذاك ـ مخطوطاً، لم تكن لتبرز مفهوم (الناشر)، كما في مفهومه المعاصر، ومن هنا كانت الثقافة

تتوجّه إلى (القصر وربّ القصر)، أكثر من توجهها إلى الجمهور، وهو ما جعل قصيدة المديح أكثر فشواً وذيوعاً في العصر العبّاسي، فساغ

"... اعتماد الشعراء طوال أيّام العباسيين ـ عدا فترات قليلة ـ على تشجيع الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لم تكن هناك تجارة كتب منظمة، كما لم يكن هناك أحد من الناشرين الذين يستطيعون نشر الكتب على نفقتهم. فكان كلّ اعتماد الشعراء في كسب عيشهم على التقرّب من الخلفاء والمقرّبين إليهم من العظماء، بالقصائد الرنّانة ابتغاء المنح والعطايا. ولهذا كان الإغراق في المدح من أهمّ مميّزات الشعر في أيّام العباسيين . ." (٥٩).

هذا إلى أنّ ارتباط الثقافة بالبلاط يعدّ ظاهرةً ممعنةً في القِدَم، حيث أدّى الشاعر/الكاهن (٦٠) دوراً كبيراً في قصور الملوك القدامى ومعابدهم، كما في الحضارة الأشوريّة (٦١)، ومن ثمّ غاب، بسبب اعتماد الشاعر على البلاط، الجانب المقدّس فيه (الكهانة)، وتحوّل الشاعر إلى أداة (نثرية) في يد النبيل، راعي الآداب وحاميها! كما أدّى القاصّ والمؤدّب دوراً تثقيفيّاً وتربويّاً في العصور العربيّة الإسلاميّة، يتداخل فيه التثقيف والتّسلية، بالانتماء العروبيّ الذي دشّنته السلطة الأمويّة، وجعلته جزءاً من إيديولوجيّتها الثقافيّة والسياسيّة(٦٢)، وهو ما أوجد وظائف

اجتماعيّة واقتصاديّة للمثقّف، في صوره المتعدّدة، منذ ذلك الارتباط القديم بين المثقّف المربّي في الثقافات القديمة ـ المؤدّب في الثقافة العربيّة الإسلاميّة ـ والسياسيّ التّلميذ (أرسطو/الإسكندر ـ الكسائيّ /الأمين)[٦٣].

هوامش الفصل الأول

١- عن الأصل اللغويّ التاريخيّ لكلمة (الجائزة)، قال أبو جعفر النحّاس: "أصل الجائزة أن يعطي الرجل ما يجيزه ليذهب إلى وجهه، وكان الرجل إذا ورد ماء قال لقيّمه: أجزني - أي: أعطني ماء حتّى أذهب لوجهتي وأجوز عنك - فكثر حتّى جعلت الجائزة عطيّة ..." وقال ابن قتيبة: "أصل الجائزة والجوائز أن عبد عوف بن أصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولّي فارس لعبد الله بن عامر، فمرّ به الأحنف بن قيس في جيشه غازياً إلى خراسان، فوقف لهم على قنطرة الكرّ فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه، فكان يعطيهم مئة مئة، فلمّا كثروا عليه قال: أجيزوهم، فأجيزوا؛ فهو أوّل من سنّ الجوائز." ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ٢/٣١٥.

٢- مثل تلك المؤلّفات الخاصّة بجائزة نوبل، ومن ضمنها في اللغة العربيّة: عباس محمود العقاد، شاعر أندلسيّ وجائزة عالميّة (المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ت)، ولجنة نوبل، مؤسّسة نوبل: ماهيتها ونظامها، (الدار القومية للنشر، د.م، ١٩٦٦م)، ومحمود قاسم، موسوعة جائزة نوبل (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م) وعبلة الخوري، فائزون بجائزة نوبل للآداب (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، وَارين فرينش وَالتر كيد، جائزة نوبل للآداب: دراسة عن الأدباء الفائزين، ترجمة إميل خليل بيدس (دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت)، ومحمود قاسم، جائزة الملك فيصل (كتاب الرياض، ١٩٩٧م)، وزيد بن عبد المحسن الحسين، جائزة الملك فيصل العالمية ودلالاتها الحضارية (دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ووصل الأمر ببعض الباحثين (علوي طه الصّافي) إلى أن يعقدوا النيّة على إصدار مؤلّف بكامله، أقرب ما يكون إلى توثيق كلّ الجوائز العالميّة والإقليميّة والوطنيّة، وأكاد أقول حتّى الجوائز المدرسيّة! ولعلّ بكلّ ماله

صلة بالجوائز! الجوائز الأدبية والعلمية: نشأتها، تاريخها، أماكنها، أنواعها، آثارها (المجلّة العربيّة،خمس حلقات: الأعداد من ١٤٧ إلى ١٥١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩-١٩٩٠م). ومن الأمثلة العربيّة المتميّزة على المتابعة الدقيقة لأخبار الجوائز، ما استنّته مجلّة الفيصل في أخبارها الثقافيّة الشهريّة من متابعتها الدقيقة لمختلف الجوائز في العالم، هذا إلى أنّها قد خصّصت ملفاً بكامله عن الجوائز، في العدد ١٨٥.

٣- لم يمرّ موسم من مواسم إعلان جوائز الدولة التقديريّة والتشجيعيّة في مصر، دون أن يُحْدث موجةً عنيفةً من الانتقادات والسِّجالات الأدبيّة والسياسيّة والإيديولوجيّة، مثل تلك الانتقادات التي طالت العديد من حائزيها، أو حجبها - أو تأخيرها - عن أسماء معيّنة، وارتباط الجائزة بالبيروقراطيّة الإداريّة للمؤسّسات الثقافيّة، أو الفسادِ الثقافيّ، واستشراء الجشع الاستهلاكيّ، واختلاف القيم وتسطّحها .. إلخ، ينظر في ذلك: محمود أمين العالم، حول جوائز الدولة التقديريّة: قواعد تنظيميّة أم قيم مختلّة، (الهلال، أغسطس ١٩٩٣م)، ص ٨٠، وافتتاحيّات الهلال، أغسطس ١٩٨٩م، ص ٦، وأغسطس ١٩٩٣م، ص ٥، وشكري عيّاد، القفز على الأشواك، (الهلال، أغسطس ١٩٩٢م)، ص ٨، وسامي خشبة، جائزة الشّعر ومنطق التّوازن، (الآداب، ديسمبر ١٩٦٩م)، ص ٦١، والمناقشة التحليليّة الهادئة لمنطق تلك الجوائز، لدى زكي نجيب محمود، أفكار ومواقف،(دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م)، ص٢٩٧.

٤- للتوسّع في الانقلاب الثقافيّ والاجتماعيّ الخطير الذي أحدثه اختراع المطبعة، يمكن مطالعة: أحمد أمين، ظهر الإسلام، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، د.ت)، ٢/ ٢٣٠، وروبير اسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ترجمة آمال أنطوان عرموني، (منشورات عويدات " زدني علماً"، بيروت - باريس، ط٢ ١٩٨٣م)، ص ص ٢٩، ٧٨، وقضايا الساعة، صناعة الكتاب بين الأمس واليوم، ترجمة رجاء ياقوت صالح (مطابع الأهرام، القاهرة، د.ت)،ص ٤٥، وألكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة محمد م. الأرناؤوط (عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ٢/ ١١٧، ١٢٦.

٥ـ سعد البازعي، أثر الجوائز على الثقافة، (مجلّة الفيصل، ع ١٨٥)، ص ١١.

٦ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٨، ١٩٧٢م)، ١٣٤/١، ١٣٥، وعبد المنعم تليمة، الجوائز الأدبيّة العربيّة: السلطان والفنّان، (الهلال، مارس ١٩٩٦م)، ص ٧٠.

٧ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ١٣٤/١، ١٣٥.

٨ـ وهذا ما تؤكّده تلك الأحكام النُّقديّة (القاطعة) التي كان يمارسها الخلفاء ـ عبدالملك بن مروان على وجهٍ خاصّ ـ على إبداع الشعراء الذين تضمُّهم مجالسهم. للتوسّع، ينظر: المرزباني، الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق علي محمد البجاوي، (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)، في مواضع متفرّقة.

٩ـ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار (دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٣م)، ٤٤/١، ٤٥.

١٠ـ ينظر في ذلك: رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة عبد الكبير الشرقاويّ (نشر الفنك، المغرب، ١٩٩٤م)، ص ٣٨.

١١ـ مبروك المنّاعي، الشعر والمال (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص ٥٣٣، ويُنظر مصادره.

١٢ـ مبروك المناعي، ص ٥٣٣.

١٣ـ مبروك المنّاعي، ص ٥٣٤.

١٤ـ درويش الجندي، ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر ونقده (دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م)، ص ١٦٧.

١٥ـ مبروك المناعي، ص ٥٣٤.

١٦ـ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥)، ١٣/٢، ١٤.

١٧ـ جرجي زيدان، تاريخ الأدب العربيّ (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م)، ١٦٨/١، وشكري فيصل، (مجلّة الفيصل، ع ١٩، ١٩٧٨م). ولقد كان لقريش دورٌ كبير في الهيمنة على الذّائقة الشعريّة العربيّة، يتمثّل في عرض الشعراء الجاهليّين لإبداعهم الشّعريّ على الملأ القرشيّ ".. فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردّوه منها كان مردوداً .."، فكتور سحاب، إيلاف قريش(كومبيو نشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ١٩٩٢م)، ص٣٩٧، وذكر سعيد الأفغانيّ أنّ سوق عكاظ تعدّ معرضاً عامّاً ".. للجزيرة العربيّة: فيها عرض لتجارات جميع الأقطار وعرض للبيوع وعرض للعادات وللأديان واللّغات والآداب وللسياسة، وفيها لجان رسميّة على نحو ما نألف في معارضنا اليوم، تحكم للمتفوّق بتفوّقه حكماً نافذاً من أقصى الجزيرة إلى أقصاها .."، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ٣٤٢.

١٨ـ ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة إبراهيم الكيلانيّ، (دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٣٨٠، ونجد الأمر ذاته في الحضارة اليونانيّة، إذ أسهمت المسابقات الأدبيّة بين الشعراء، في المناسبات الدينيّة التي تنظّمها حكومة أثينا، في ازدهار الشعر، وبلورة النّظريّة النّقديّة، محمد غنيمي هلال، النّقد الأدبيّ الحديث (دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت)، ص ٢٥، بل إنّ شاعر اليونان الأعظم (هوميروس) كان يتّخذ من شعره وسيلة للتكسب. سليمان البستاني، مقدّمة الإلياذة (د.ن، د.ط، ١٩٩٤م)، ١٣/١، وكذلك الشّاعر اليونانيّ (بندار)، نجيب البهبيتي، المعلّقات سيرةً وتاريخاً (دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٢٨١.

١٩ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربيّ: العصر العبّاسيّ الأوّل (دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٨٢م)، ص ١٠٢ وما بعدها، والعصر العبّاسيّ الثّاني (دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م)، ص ١١٩ وما بعدها، والأمر ذاته لدى

المتوكّل الذي أهدى "٠٠ إلى حنين بن إسحاق ٠٠٠ ثلاث دور من دوره وحمل إليها كلّ ما تحتاج إليه من الأثاث والفرش والآلات والكتب وأنواع السّتائر الأنيقة وأقطعه بعض الإقطاعات وجعل له راتباً شهرياً خمسة عشر ألف درهم غير ثلاثة خدم من الرّوم وغير ما أسبغه على أهله من الأموال والخِلَع والإقطاعات ٠٠"!! شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربيّ: العصر العبّاسيّ الثّاني، ص ١٣١.

٢٠- مبروك المناعي، ص ١٩٠.

٢١- جرجي زيدان، التمدُّن الإسلاميّ (دار مكتبة الحياة، بيروت، د٠ط، د٠ت)، ١٨٩/٢.

٢٢- جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، ١٨٩/٢.

٢٣- جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، ١٩٠/٢.

٢٤- جرجي زيدان، ١٩١/٢، وينظر كذلك: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربيّ، العصر العبّاسيّ الثاني، ص ١٢٠.

٢٥- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ٢ /٩٩.

٢٦- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ٩٤/١، ٩٥.

٢٧- أحمد أمين، ظهر الإسلام، ٩٥/١.

٢٨- ريجيس بلاشير، ص ٣٨٠.

٢٩- وهب رومية، بينة القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: قصيدة المدح نموذجاً، (دار سعد الدين، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ٣٦.

٣٠- العمدة، ٨٠/١.

٣١- وهب رومية، ص ٣٩.

٣٢- وهب رومية، ص ٥٩.

٣٣ـ عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (دار الطليعة، بيروت، ط٥، ١٩٨٧م)، ص ١١.

٣٤ـ وهب رومية، ص ٦٢.

٣٥ـ وهب رومية، ص ص ٨٠، ٨١.

٣٦ـ صالح أحمد العلي، الحجاز في صدر الإسلام: دراسة في أحواله العمرانية والإدارية (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٣٨٥.

٣٧ـ ريجيس بلاشير، ص ص ٣٩٠، ٣٩١.

٣٨ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ٣٢٠، وفيه أنَّ سماك بن حرب "٠٠ إذا كانت له إلى الوالي حاجة قَال فيه أبياتاً ثمّ يسأله حاجته"!

٣٩ـ جرجي زيدان، التمدُّن الإسلاميّ، ٦٧٨/٢ ٠ وحول التكسّب عند الشعراء اليونانيّين، ينظر: سليمان البستاني ١٣/١.

٤٠ـ العمدة، ٨١/١، ويشير ابن رشيق إلى أنَّ الشّاعر كان "٠٠ في مبتدأ أمره أرفع منزلةً من الخطيب؛ لحاجتهم إلى الشّعر في تخليد المآثر، وشدّة العارضة، وحماية العشيرة، وتهيّبهم عند شاعر غيرهم من القبائل؛ فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته، فلمّا تكسّبوا به وجعلوه طُعمةً وتولّوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه ٠٠"، ٨٢/١، وينظر كذلك ابن خلدون، المقدّمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي (دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٨١م)، ١٣٢٤/٣. ولقد كان للشعراء العميان في الثقافة اليونانيّة عملٌ مشابه للشعراء العرب، إذ كانوا "٠٠ يطوفون به فيلقونه بضاعة ذات قيمة وحيثما حلّوا اجتمعت النّاس إليهم فيأخذون في الإنشاد بما وافق المقام ويتعيّشون بما ينفحهم به مستمعوهم٠ وهم في الغالب يؤثرون الإنشاد بين عامّة النّاس لأنّ العامّة أكثر إقبالاً عليهم وأقلّ تعنّتاً في انتقاء المواضيع ٠٠"، سليمان البستاني، ٣٧/١ ٠

٤١ـ من البحوث الممتعة التي ترصد ظاهرة (العَطاء) في التاريخ الإسلاميّ، (العطاء والرزق وتطوّر تنظيمه في الحجاز)، صالح أحمد العلي، ص ٣٧٩ وما بعدها.

٤٢ـ العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الإبياري وعبد السلام هارون (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ١/ ٢٩٥.

٤٣ـ العمدة، ١/ ٨٣ .

٤٤ـ المرزباني، ص٢١٠، ولمحمّد العليّ تأويل للمسكوت عنه في هذه الحادثة، في مقال له بجريدة اليوم، ضاع عنّي تاريخه.

٤٥ـ العقد الفريد، ١/ ٢٩٥.

٤٦ـ ابن عبد ربه، ١/ ٢٩٦.

٤٧ـ ينظر في ذلك: الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م)، ص ٦٥٨، والمعري، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن، (دار المعارف، القاهرة، ط٩، ١٩٩٣م)، ص ص ٤١٠، ٤١١، والشريشي، شرح مقامات الحريريّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ٢/ ١٣٧، ١٣٨، ومن دلائل فقر الأدباء وعوزهم في التراث العربيّ الإسلاميّ أن أوصى مسلمة بن عبد الملك لهم بجزء من ماله! المعري، ص ٤١٠ .

٤٨ـ الشريشيّ، ٢/ ١٣٨.

٤٩ـ الشريشيّ، ٢/ ١٣٨.

٥٠ـ طه الحاجري، مقدمة تحقيقه البخلاء (دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٩٠م)، ص ٣٥ .

٥١ـ للتوسّع في هذه الظاهرة، ينظر: طه الحاجري، ص ٣٥، ومواضع متفرقة في: درويش الجندي، جلال الخياط، التكسب بالشعر (دار الآداب، بيروت، ١٩٧٠م)، مبروك المنّاعي.

٥٢ـ ص ٤١١ .

٥٣ـ روبير اسكاربيت، ص ٧٧، أو كما يعبِّر طه حسين حينما ".. أعطى هذه المسألة معناها الاقتصاديّ الصحيح بقوله: يوجد هنا صفقة غير شريفة: فنصير الآداب يعطي ذهباً أو فضّة ينفقها رجل الأدب كلّما حصل عليها، أمّا رجل الأدب فيعطي فنّه وفكره اللذين لا يمكن أن يصرفا بأيّ حال"، روبير اسكاربيت، ص ٧٩.

٥٤ـ ظهر الإسلام، ٢/ ٢٣٠.

٥٥ـ عبد المجيد زراقط، الشعر الأموي بين الفنّ والسلطان، (دار الباحث، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٤١.

٥٦ـ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ٢/٢٣١.

٥٧ـ التوحيدي، رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني (دار طلاس، دمشق، د.ط، د.ت)، ص ١٨١.

٥٨ـ نجوى هاشم، مقال: هل يعطي الأدب مالاً؟ جريدة الرِّياض، ١٧ أغسطس ١٩٩٧م، ويذكر الكاتب الصحفيّ محسن محمد أنّ "هناك ثلاثة من الروائيّين الإمريكيّين يحصلون الآن على ثلاثة ملايين دولار كعربون قبل نشر رواياتهم، بل قبل تأليفها أيضاً .."!! إنّهم يقتلون الأدباء (مكتبة غريب، القاهرة، د.ط، د.ت)، ص ٨٨.

٥٩ـ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (دار الجيل، بيروت ـ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٣، ١٤١١هـ١٩٩١م)، ٢/ ٢٨٠، وينظر ـ أيضاً ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ١/ ١٣٥.

٦٠ ـ حول الشاعر الكاهن، يمكن مطالعة ما ذكره نجيب البهبيتيّ، المعلّقة العربيّة الأولى عند جذور التاريخ (دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ١/ ٧٧ وما بعدها، والمعلّقات سيرةً وتاريخاً،ص ١٩٠.

٦١ـ حول علاقة الثقافة والمعرفة بالمعابد والقصور في الحضارات العربيّة منذ الأشوريّين إلى العبّاسيّين، ينظر: نجيب البهبيتي، المعلّقة العربيّة الأولى عند جذور التاريخ، ٣٢/١.

٦٢ـ ولعلّ ذلك من أسباب ولع الأمويين ـ معاوية على وجه خاصّ ـ بتاريخ العرب وأخبارهم، نجيب البهبيتي، المعلّقات سيرةً وتاريخاً، ص ص ١٢١، ١٢٩.

٦٣ـ ينظر، تفصيلاً لذلك، مقولة طه حسين المتعلّقة بهمن المثقّفين والأدباء، روبير اسكاربيت، ص ٨٠.

العالَم جوائز

يحفل العالم المعاصر بمئات ـ هل أقول آلاف ـ الجوائز الأدبيّة والفنّيّة والعلميّة، التي صار من المعتاد أن نطالع أخبارها في الصحف والمجلات، وبصورة يوميّة، ما بين جوائز كبرى، لها الصدارة في المحافل الدوليّة، وجوائز متوسطة وصغرى تابعة لبعض المؤسسات الأدبيّة، أو دور النّشر، أو المؤسسات الإعلاميّة، فضلاً عن الأفراد، إضافة إلى الجوائز الإقليميّة هنا أو هناك. ويمكن القول: إنّ الجوائز الأدبيّة والفنّيّة والعلميّة أصبحت جزءاً من مظاهر الحياة اليوميّة الشعبيّة في الثقافة الغربيّة المعاصرة، بحيث إنّها ارتبطت بوجدان الإنسان الغربيّ، مثلها مثل المناسبات والأعياد الوطنيّة والدينيّة، حتّى أنّها أُدرجت ضمن أولويّاته الزمنيّة الموسميّة، كمواسم الخريف في فرنسا التي تشتعل فيها حمّى الجوائز، ويوم الكتاب وأسبوع الكتاب في بعض دول أوربا، التي تتحوّل إلى مناسبات قوميّة كبرى ذات وقع احتفاليّ كرنفاليّ يطول مختلف طبقات الشعب، وغدت جزءاً من المظاهر الكرنفاليّة العامّة

التي يؤدي الخطاب الإعلانيّ الحديث دوراً كبيراً في إبرازها، وربطت الإنسان الغربيّ، مباشرة، بالكتاب والقراءة والثقافة بوصف كلّ ذلك طموحاً مؤسسيّاً، يخطّط له الخبراء والحكومات ودور النشر والمؤسّسات الثقافيّة، بدءاً من معارض الكتب ونادي الكتاب؛ هذه المؤسّسة المنتشرة في معظم دول العالم، وعلى الأخصّ في أوربا وأمريكا، ووصولاً الى مواسم الجوائز الأدبيّة العالميّة والإقليميّة والوطنيّة، [1] حتّى غدت مواسم تلك الجوائز ـ قبلها وفي أثنائها وبعدها ـ (وفي مطلع سبتمبر من كلّ عام، على وجه خاصّ)، حمّى لنشر الكتب وطباعتها، أملاً في تحقيق عائدات ماليّة ضخمة، لاتقف عند حدود الكتب الفائزة، فحسب، ولكن تتعدّى ذلك إلى انتقال تلك الكتب ـ وهي في الغالب روايات ـ إلى أفلام سينمائيّة متعدِّدة، أو عروض مسرحيّة، تكفل رواجاً لكل تلك الصناعات، فضلاً عن كونها خير دعاية للروايات الفائزة! [2].

ولكي يكون لدينا تصوُّرٌ عن المساحة الكبيرة التي تحتلّها الجوائز في العالم الغربيّ، وتحوّلها إلى قوّة اقتصاديّة بسبب ما تحققه من عائدات ماليّة ضخمة، وما هيأ لها أن تكون أقرب إلى جماعات فكريّة/سياسيّة ضاغطة، هذا فضلاً عن ما تتيحه من فرص متعدِّدة للوعي الثقافيّ والسياسيّ والاجتماعيّ بين الجماهير الضخمة التي تنتظر تلك المواسم، وفي بالها صدق تكهُّناتها أو كذبها، إضافة إلى تحريك الركود الذي قد يصيب الساحة الثقافيّة والفكريّة، عبر تلك التحقيقات الصحفيّة، والسجالات الفكريّة

والإيديولوجيّة التي عادةً ما تصاحب تلك المواسم من مختلف التيّارات الفكريّة والسياسيّة والأدبيّة يميناً أو يساراً، والتي تعدّ ميداناً خصباً لبلورة النظريّات الأدبيّة، واختبار آليّاتها وهي تتماسّ، مباشرةً، مع حركة الواقع الاجتماعيّ ممثّلاً بتلك الجماهير الضخمة ومؤسّسات المجتمع المدنيّ - لكي يكون لدينا تصوّرٌ عن تلك الجوائز في العالم الغربيّ المعاصر، لنا أن نتخيّل ذلك الحشد الهائل من الجوائز الموجودة في أوربا وأمريكا من خلال هذه الأرقام السريعة:

- تقدِّم فرنسا ٣٠٠ جائزة أدبية، ١٠ جوائز منها من ذوات الصدارة!
- تقدِّم أسبانيا أكثر من ٣٠٠ جائزة!
- تقدِّم الولايات المتحدة الإمريكية نحو ٢٥٠ جائزة!
- تقدِّم الأكاديميّة السويدية ٥٠ جائزة أدبية، غير جائزة نوبل العالمية! (٣)

وتتراوح الجوائز الغربيّة في مستواها الأدبيّ وشهرتها وقيمتها الماديّة، غير أنّ أشهرها على الإطلاق (جائزة نوبل العالميّة في الآداب) التي بدأت في المنح عام ١٩٠١ م، وجائزة الغونكور الفرنسيّة في الرواية (١٩٠٣م)، وجائزة فيمينا الفرنسية (١٩٣٥م)، وجائزة بوليتزر (١٩١٧م)، وجائزة رينودو، وجائزة لوتس، وجائزة الانترالييه، وجائزة بوكر البريطانية (١٩٦٩م).

الجوائز الأدبية والثقافية في الوطن العربي:

ولقد كان من ضمن السياسة الثقافيّة لجامعة الدول العربيّة منذ تأسيسها تنمية الثقافة وتشجيع الكتاب في الوطن العربيّ، ومن ذلك القرار المتعلّق بتخصيص جوائز سنويّة لأحسن كتاب عربيّ علميّ أو أدبيّ، ولمؤلّف تقترحه الإدارة الثقافيّة في الجامعة بحيث" . . يستكمل وجهاً من أوجه النّقص في مجال التأليف العربيّ المتّصل بدراسة حياة العرب وإنتاجهم الفكريّ وحضارتهم. . " (٤)، هذا إلى قرارات أخرى تطمح فيها بأن تؤلّف مختلف الدول العربيّة هيئات للتأليف والترجمة، وتخصيص جوائز للمؤلّفين والمترجمين والنّاشرين! (٥)، إلاّ أنّ تلك الخيالات الخمسينيّة المعجونة بأحلام القوميّة العربيّة، وأصداء الوحدة العربيّة، ذهبت - فيما يبدو - أدراج الرّياح!

غير أنّ في الوطن العربيّ - رغم ذلك - العديد من الجوائز الأدبيّة والفنّيّة والعلميّة المختلفة باختلاف التوجّهات الفكريّة والسياسيّة، وتختلف قنواتها من جائزة إلى أخرى: من جوائز وطنيّة حكوميّة كجوائز الدولة التقديريّة والتشجيعيّة في مصر التي تعدّ من أقدم الجوائز العربيّة (١٩٥٨م) (٦)، وجائزة الدولة التقديريّة في الأدب في المملكة العربيّة السعوديّة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، وجوائز تمثّل مؤسّسات تابعة لبعض الحكومات أو الهيئات العربيّة مثل جائزة مؤسّسة الكويت للتقدّم العلميّ، وجائزة نور الحسين لأدب الأطفال الأردنيّة، وجوائز أخرى تمثّل مؤسّسات كبرى مستقلّة ذات

طموح عالميّ ـ غير إقليميّ ـ كجائزة الملك فيصل العالميّة، أو جوائز يرعاها عدد من الأثرياء والوجهاء كجائزة العويس الإماراتيّة، وجائزة البابطين الكويتيّة، وجائزة محمد حسن فقيّ السعوديّة، وجائزة عبد الحميد شومان الأردنيّة، وجائزة ابن تركي السعودية، أو جوائز تمثّل أهداف المنظّمات العربيّة الحكوميّة وشبه الحكوميّة على المستوى العربيّ، مثل جائزة الأليسكو، أو الإقليميّ مثل جائزة مكتب التربيّة العربيّ لدول الخليج في مجالات التربيّة، واللغة العربيّة وآدابها، والعلوم الاجتماعيّة والتنمية، والعلوم والتقنية . . إلخ. إلا أنّنا نزعم أنّ هذه الجوائز العربيّة المختلفة ـ على الرغم من طموحاتها الكبيرة في خلق مناخ أدبيّ وثقافيّ واسع بين الجماهير العربيّة ـ لم تستطع أن تحقق أهدافها الثقافية، وطموحاتها الفكرية في بثّ خطاب (تنويري) عربي، من الخليج إلى المحيط، كما أنها لم تستطع أن تتحوّل إلى صناعة بالمفهوم الاقتصاديّ ـ كما في الغرب ـ هذا فضلاً عن كونها لم تستطع أن تشكّل مفهوم الجماعات الضاغطة التي يحسب لها ألف حساب في تشكيل الرأي العام، واتخاذ القرار السياسيّ! فهي ـ في الغالب ـ لا تبرح أن تكون محطّ اهتمامات الأدباء والمثقّفين، وبشكل محدود، وبحسب مستوى الجائزة الممنوحة، وفي فضاء إعلاميّ محدود، تغيب فيه الأجواء الاحتفالية (الكرنفالية) الشعبية، وتجعلها ـ في الغالب ـ نخبوية الطابع، وغير معبِّرة عن هموم الشارع العربيّ في صراعه الاجتماعي والسياسي والقيمي.

الجوائز الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعوديّة:

ولا شكّ أنّ الجوائز الأدبيّة والفنّية والعلميّة تعدّ ـ رغم كلّ ما يقال عنها ـ ظاهرةً إيجابيّة، لأنّها تحاول أن تخلق مناخاً ثقافيّاً عامّاً، إضافةً إلى تقدير المبرِّزين من الأدباء والمفكّرين وتشجيعهم، واستزراع قنوات فكريّة وأدبيّة جديدة، إلى جانب أنّها تمثّل ـ إذا نجحت في استراتيجيّاتها ـ سوقاً اقتصاديّة ضخمة لدور النّشر والمكتبات ودور العرض، مع ما تحقّقه للمبدعين أنفسهم من مجد أدبيّ ويسارٍ ماديّ، تمثّله قيمة الجائزة، ونصيب المبدع ذاته من توزيع كتابه الذي سوف تُطبَع منه آلاف النسخ! ولذلك جعلت المؤسّسات الثقافيّة الجوائز الأدبيّة والفنّيّة والعلميّة من ضمن سياساتها واستراتيجيّاتها الآنيّة والمستقبليّة، التي من شأنها تبيئة الثقافة بين مواطنيها. ومن هذا المنطلق تعدّدت الجوائز الأدبيّة في المملكة: الحكوميّة منها، أو الأهليّة، أو التابعة للأفراد، حيث ترجع أقدم جائزة أدبيّة محلّيّة إلى (جائزة الشربتليّ) التي حازها الأديب المكّيّ أحمد السّباعيّ، في العام ١٣٦٨هـ، على روايته (فكرة)، وكان مقدارها ٥٠٠ ريال سعوديّ [٧]، ممثّلةً في ذلك استمراراً تقليديّاً للنبيل (الأرستقراطيّ) نصير الفنون والآداب، وذلك في شخصية الثريّ، الذي جعل جزءاً من نشاطه الاجتماعيّ نشر الكتب، ورعايتها، ومساندة المؤلّفين والمحقّقين! [٨]

ومع نشوء مؤسّسات المجتمع المدنيّ في المملكة، بسبب التطور

النسبي للبنى الاجتماعية التي كانت نتيجة طبيعية للتطور الحادث في الاقتصاد والتعليم، والانفتاح على الآخر ـ عربياً وغربياً ـ وصعود طبقات اجتماعية جديدة مغايرة لطبيعة المجتمع المحلي التقليدي، كان من الطبيعيّ أن تتّجه النيّة إلى مأسسة الثقافة، حتّى يصبح للخطاب الأدبيّ والثقافيّ شرعيّة الوجود تحت مظلّة المؤسّسة الحكوميّة الناشئة، ومن هنا تعدّدت قنوات الجوائز الأدبيّة والفنّيّة بتعدّد تلك المؤسّسات:

● وأهمّ الجوائز الوطنيّة على الإطلاق جائزة الدولة التقديريّة في الأدب العربيّ، التي صدر القرار السامي بتأسيسها في ١٤٠٠/٥/٢٠ هـ، وممّا تضمّنته لائحتُها مايلي:

١ـ تنشأ جائزة تسمّى جائزة الدولة التقديريّة في الأدب، تمنح كلّ عام لثلاثة من الأدباء السعوديّين.

٢ـ يُشتَرَط فيمن تمنح له الجائزة أن يكون قد أسهم إسهاماً جليلاً في إثراء الحركة الدينيّة والفكريّة والأدبيّة في المملكة العربيّة السعوديّة، كما يُشتَرَط ألا تقلّ سنُّه عن الخمسين سنة.

٣ـ تمنح الجائزة بأمر ملكيّ بناء على اقتراح لجنة الجائزة.

٤ـ تشكّل لجنة الجائزة على النّحو التّالي:

أ- الرئيس العامّ لرعاية الشباب: رئيساً.

ب - خمسة أعضاء من رجال الفكر والأدب يسمّوْن بأمر ملكي، بناء على ترشيح من المقام السّامي.

٥- يتلقّى الحاصل على الجائزة مكافأةً سنويّة قدرها مئة ألف ريال مدى الحياة، إضافةً إلى ميداليّة ذهبيّة.

٦- تتلقّى لجنة الجائزة الترشيحات من الهيئات العلميّة والمؤسّسات الأدبيّة ومن الأفراد ومن أعضاء اللجنة. (٩)

ومُنحت للمرّة الأولى عام ١٤٠٣ هـ لكلٍّ من حمد الجاسر وأحمد السّباعيّ وعبد الله بن خميس، وللمرّة الثانية عام ١٤٠٤هـ لكلٍّ من الأمير عبد الله الفيصل وأحمد عبد الغفور عطّار وطاهر زمخشريّ. ولا ندري ما سبب توقّفها بعد ذلك؟ مع أنّها أحدثت أثراً كبيراً في حركة الثقافة المحلّيّة، قلّ أن يكون له نظير! عبر تلك الاحتفالية الرسمية والثقافية والإعلامية التي جعلت من الجائزة حدثاً أساسيّاً في الخطاب الإعلاميّ المحلّيّ، رغبةً في تدشين مرحلة جديدة للثقافة الوطنية. (١٠)

● جوائز الأندية الأدبيّة وجمعيّات الثقافة والفنون: التي تخضع في أنظمتها ولوائحها للسياسة الثقافيّة العامّة للرئاسة العامّة لرعاية الشباب(١١).

● الجوائز الأدبيّة والعلميّة والثقافيّة التي تمنحها إمارات المناطق المختلفة في المملكة: وهي محدودة - في الغالب - بحدود

المنطقة نفسها، والغالب على تلك الجوائز السمة الإداريّة والتربويّة لا التقديريّة، باستثناء فرع الثقافة في جائزة أبها، حيث تمتدّ لتشمل مثقفي المملكة والمقيمين فيها، ومثقفي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ولعلّ جائزة أبها الثقافيّة أن تكون نواةً أولى لتقدير المبدعين والمبرّزين في مجالات الإبداع والفكر والثقافة، عن طريق تحديث آليّاتها، وتطوير قنواتها، بحيث تغدو جائزة تقرأ الماثل والكائن في خارطتنا الثقافيّة، ومن ثمّ تضع يديها على مواطن الضعف أو القوّة في خطابنا الأدبيّ والثقافيّ، بصورة أقرب ما تكون إلى الجائزة التقديريّة والتشجيعيّة. (١٢)

● جوائز المؤسّسات غير الحكوميّة والأفراد: وأهمّها على الإطلاق جائزة الملك فيصل العالميّة في حقول خدمة الإسلام والدراسات الإسلاميّة والأدب العربيّ والطبّ والعلوم، وهي وطنيّة الهويّة عالميّة المقصد والأهداف، حيث قرّر مجلس أمناء مؤسّسة الملك فيصل الخيريّة في عام ١٣٩٧ هـ إنشاء جائزة الملك فيصل العالميّة. وجائزة البصير للدراسات اللغويّة التي توقّفت منذ سنوات، وجائزة أمين مدنيّ للدراسات المتعلّقة بتاريخ الجزيرة العربيّة، وجائزة محمّد حسن فقي، وجائزة ابن تركي، اللتان جعلتا من القاهرة مقراً لهما!

جائزة الملك فيصل العالمية:

وتأتي جائزة الملك فيصل العالميّة ـ كما جاء في نظامها الأساسيّ ـ محقّقةً للأهداف الآتية:

١ـ العمل على خدمة الإسلام والمسلمين في المجالات الفكريّة والعلميّة والعمليّة.

٢ـ تحقيق النّفع العامّ لهم في حاضرهم ومستقبلهم، والتقدُّم بهم نحو ميادين الحضارة للمشاركة فيها.

٣ـ تأصيل المُثُل والقيم الإسلاميّة في الحياة الاجتماعيّة وإبرازها للعالم.

٤ـ الإسهام في تقدُّم البشريّة وإثراء الفكر الإنسانيّ.(١٣)

ولقد جاءت الجائزة ـ وهي ذات أهداف إسلاميّة ـ "... لتملأ فراغاً في بلادنا العربيّة والإسلاميّة لتعود بنا إلى المنهج القويم الذي جرّبه أسلافنا الأوّلون ..."(١٤)، ومنذ سنواتها الأولى استهدفت هذه الجائزة أن تقارن بـ (نوبل)، سواء على مستوى الحقول المتشابهة في كلتا الجائزتين ـ إلى حدّ بعيد ـ أو في ذلك العراك، المسكوت عنه أو المصرَّح به، الذي يمارسه (الفيصليّون) ـ نسبةً إلى جائزة الملك فيصل ـ تجاه (النّوبليّين)! خاصّةً أنّ جائزة الملك فيصل العالميّة وُلدتْ وكأنّها استجابةٌ طبيعيّة لسجال الغرب المسيحيّ والشرق الإسلاميّ، ذلك الغرب العنصريّ الصليبيّ ـ إذا ما

أردت استخدام أسلوب البكائيّات العربيّة على نوبل ماقبل ١٩٨٨م ـ الذي تجاهل الثقافة العربيّة الإسلاميّة بأدبائها ومفكّريها، في الوقت الذي قامت به جائزة الملك فيصل العالميّة ـ بحسب منطوق خطابها وما يسكت عنه ـ بتجاوز تلك العنصريّة والمذهبيّة والتحيُّز السياسيّ، [١٥] حينما قدّمت جوائزها الكبرى لأعلى العقول الغربيّة في مجال الطبّ والعلوم، وهي حقول محايدة بحكم طبيعتها العلميّة، بعكس حقل الأدب الذي لم تتجاوز به الجائزة الدائرة العربيّة، ولم تُمْنح لأديب غربيّ، ولا حتّى لمستشرق أو مستعرب، وذلك لأنّ الجائزة ـ كما في لوائحها ـ محدودةٌ بحدود الأدب المكتوب باللغة العربيّة، وهو ما جعل مجال المقارنة بينها وبين نوبل مقصوراً على مجالات ليس للسياسة أو الإيديولوجيا موقع للإعراب! [١٦] غير أنّ الجائزة استطاعت ـ وفي سنوات قلائل ـ أن تُجَذِّر لنفسها في المحيط العربيّ والإسلاميّ والعالميّ، ما جعلها تحظى باحترام الهيئات العلميّة، والمراكز البحثيّة الكبرى، وذلك في محاولتها الحثيثة لتطوير آليّاتها وتحديثها، واستهدافها في خطابها الإعلامي (العالميّة)، واستحداث حقول جديدة للجائزة، إذ بدأت في أساس نشأتها بثلاثة حقول: (خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي)، لتضيف في العام ١٤٠١هـ/١٩٨١م جائزة في الطبّ، وفي العام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م جائزة في العلوم [١٧]، والسعي في رفع قيمتها الماديّة من ٢٠٠ ألف ريال إلى ٢٥٠ ألف ريال (١٤٠٠هـ)، وبعد ذلك إلى ٣٧٥ ألف ريال، لتصبح ابتداءً

من العام ١٤١٥هـ ٧٥٠ ألف ريال [١٨]، ولتتّسع خارطتها الجغرافيّة، منذ تأسيسها، لتشمل جوائزها - إلى العام ١٩٩٨م - ٣٣ دولة من دول العالم [١٩] موزعين - في فروع الجائزة كافة - على النحو التالي:

الوطن العربي	٥١
أوربا	٣٢
إمريكا الشمالية	٢٤
قارة آسيا	١٢
إفريقيا	٤
أستراليا	١

(٢٠)

في الوقت الذي لم تتعدَّ الجائزة - جغرافيّاً - في فرع الأدب - مجال اهتمامنا - خارطة الوطن العربيّ، حيث جاءت على النحو التالي:

مصر	١٤
فلسطين	٢
المغرب	٢
سوريا	٢
الأردن	١
العراق	١
لبنان	١
السعودية	١

(٢١)

هوامش الفصل الثاني

١ـ حول نادي الكتاب ويوم الكتاب ومواسم المعارض، يمكن مطالعة: شعبان خليفة، الكتاب الدولي (المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٣م)، ص ٦٧٧، محسن محمد، ص ١٢٥. والجدير بالذكر أنَّ ".. أندية الكتاب، وأندية كتاب الشهر أحدثت انقلاباً في عالم النَّشر وأصبح ٢٠ في المئة من الكتب يباع عن طريق هذه الأندية ..."، شعبان خليفة، ص ص ٩٠، ٩١، ومحسن محمد، ص١٢٧، وفي دراسة أجريت في ألمانيا، عام ١٩٦٤م، تبين أن ٣٥٪ من الكتب، قد بيعت عن طريق نادي الكتاب. رونالد باركر وروبيرت اسكاربيت، حركة نشر الكتاب في الدول النامية (دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧ـ١٩٧٨م)، ص ١٥٣، وفي الوقت الذي بيع فيه ١٥٠٠ نسخة، من رواية لروبرتسون دايفيس، في المكتبات، بلغت مبيعاتها ٤٠ ألف نسخة في نادي الكتاب، هذا إلى أن هناك نحو مليون ونصف المليون من الشعب السويدي البالغ تعداده قرابة ثمانية ملايين نسمة أعضاء في نادي الكتاب. باروستبرغ، النشر في السويد، ترجمة حسن محمود عباس (مجلة الثقافة العالمية، ع ٤٢، سبتمبر ١٩٨٨م)، ص ١٦٣.

٢ـ الآداب، العدد ١١، ١٩٦١، ومحسن محمد، ص ٧٠.

٣ـ محمود قاسم، الجوائز الأدبيَّة العالميَّة ما لها وما عليها، (مجلّة الفيصل، ع ١٨٥)، ص ١٢، الشرق الأوسط، ٩/١٠/١٩٩٥، شعبان خليفة، ص ٦٧٨، وفيه أن الهند، كذلك، تقدِّم خمساً وأربعين جائزةً، ص ٧٦٣ .

٤ـ ساطع الحصري، ثقافتنا في جامعة الدول العربيَّة (دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٢م)، ص ٨٧.

٥ـ ساطع الحصري، ص ٨٨.

٦ـ وكان الدكتور طه حسين أوَّل الحاصلين عليها. مصطفى عبد الله، في مصر جوائز الدولة، وجوائز عربيَّة أيضاً (مجلة الفيصل، ع ١٨٥)، ص ٢٦. ومحمود قاسم، جائزة الملك فيصل ، ص ٢٨.

٧ـ المنهل، س ٩، جـ ٢، صفر ١٣٦٨هـ/ديسمبر ١٩٤٨م، ص ٨٥، والجدير بالذكر أن لجنة التحكيم لهذه الجائزة تضمّ إضافة إلى عبد القدوس الأنصاري، محمد سعيد العامودي وعبد الله عبد الجبار.

٨ـ لمعرفة طرف من إسهام الثريّ (الشربتلي) في إخراج الكتب التراثية إلى النور، ينظر: أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح ومدارس المعجمات العربية، (مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ١، د.ت)، ص ١٤.

٩ـ مجلة العرب، جـ ٩، ١٠ س ١٨ ـ الربيعان ١٤٠٤هـ، كانون ١، ٢ (ديسمبر ـ يناير ١٩٨٣/١٩٨٤م) ـ جزء خاص عن جائزة الدولة للأدب ـ ص ص ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، جريدة المدينة، ١٤٠٣/١/٢ هـ، ومجلة القافلة، رمضان ١٤٠٤ هـ، العدد ٩، ومجلة المنهل، العدد ٤٤٥، شعبان/رمضان ١٤٠٦ هـ.

١٠ـ للاطلاع على تلك (الاحتفالية)، ينظر العدد الخاص بالجائزة: (مجلة العرب، جـ٩، ١٠، س ١٨، الربيعان ١٤٠٤هـ).

١١ـ نادي الطائف الأدبي، الأندية الأدبيّة في سطور، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٦، ومحمد صالح البليهشي، مسيرة ٢٠ عاماً لنادي المدينة المنوّرة الأدبيّ (نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص ١١٠.

١٢ـ مثل جوائز أمراء المناطق المختلفة للتفوّق العلميّ، أو لحفظة القرآن الكريم، أو للموظّفين المثاليّين، وكما جاء في لائحة جائزة أبها المضمّن في كتيّبها الصّادر عام ١٤١٧ هـ، فإنّ الجائزة قد تأسّست عام ١٣٩٤هـ، وهي تشمل هذه الحقول: الخدمة الوطنيّة، والثقافة، والتعليم الجامعيّ، والتعليم العامّ، وتهدف إلى تحقيق مجموعة أهداف منها: حفز القطاعين العامّ والخاصّ والأفراد إلى مزيد من العمل الجادّ وتحقيق التنافس الشريف، والإسهام في إثراء الحركة الثقافيّة وتنشيطها ودفع عجلة الإبداع في اتجاه متميّز، وتقدير جهود الباحثين والمبدعين من الشعراء وكتّاب القصّة والرواية والفنّانين التشكيليّين والمسرحيّين والطلاّب، وتدريب النّاشئة في التعليم العامّ والجامعيّ على إعداد الدراسات والبحوث والموضوعات في مجالات الجائزة، والعناية بالموهوبين والأذكياء .. والجدير

بالذكر أنّ فروع الجائزة ـ ماعدا الثقافيّة ـ تعتمد على الترشيح من قبل المؤسّسات الحكوميّة والخاصّة المختلفة، ويتمّ دراسة هذه الترشيحات من قِبَل اللجان المختصّة، في حين يختلف الوضع بالنسبة إلى جائزة الثقافة التي تعتمد على طريقة المسابقة من قبل الأدباء والمثقّفين أنفسهم، وهو ما يجعل أثر الجائزة محدوداً بحدود المشتركين في المسابقة، مع أنّ الجائزة يمكن أن يتّسع فضاؤها الإبداعيّ لو أنّ لجنتها الثقافيّة اعتمدت في رصد الجوائز مسح الإصدارات الأدبيّة والثقافيّة المحليّة الصّادرة في السّنة ذاتها، أو لو اعتمدت على الترشيحات المختلفة من قِبَل المؤسّسات الثقافيّة والجامعات ودور النّشر، بحيث إنّ الجائزة تكون ممثّلة للواقع الثقافيّ الحقيقيّ، وفي صورة أقرب ما تكون إلى الجائزة التقديريّة أو التشجيعيّة، أو جائزة أحسن كتاب محلّيّ.. وهكذا. (ملاحظة: يبدو أن جائزة أبها الثقافية أخذت بهذه المقترحات، في مواسمها التي تلت) .

١٣ـ الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية، جائزة الملك فيصل العالمية في عشر سنوات، (الرياض ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٣، مجلّة الفيصل، ع ١٠٩، ١٩٨٦م (ملفّ خاص بمرور عشرة أعوام على إنشاء مؤسّسة الملك فيصل الخيريّة).

١٤ـ محمد الحبيب الهيلة، (الفيصل، ع ٢٢، ١٩٧٩ م).

١٥ـ ينظر في ذلك: زيد بن عبد المحسن الحسين، ص ص ٢٦، ٤٨، ومحمود قاسم، جائزة الملك فيصل، ص ١٤.

١٦ـ في حوار ساخن بجريدة الرياض مع الفائزين بجائزة الملك فيصل للعام ١٤٠٤هـ، ذكر روهرر ـ حائز الجائزة في مجال العلوم ـ:"..أنّ جائزة الملك فيصل تلي جائزة نوبل.."، في الوقت الذي أكّد الفائزون بجوائز العلوم ـ وهم بالطّبع من الغربيّين أنّ جائزة نوبل للعلوم والطبّ تخلو من التحيُّز السّياسيّ، وأنّ حداثة جائزة الملك فيصل للعلوم هي التي حالت دون شهرتها العالميّة. ٢٥ فبراير ١٩٨٤م.

١٧ـ زيد بن عبد المحسن الحسين، ص ٢٦ .

١٨ـ زيد بن عبد المحسن الحسين، ص ٢٦ .

١٩ـ زيد بن عبد المحسن الحسين، ص ٢٦ .

٢٠ـ زيد بن عبد المحسن الحسين، ص ٢٦.

منطق الجائزة

ولايتوقّف العالم السيميائيّ للجوائز عند حدود كثرتها، وتعدّد المصادر التي تنطلق منها، من حكومات ومؤسّسات حكوميّة وأهليّة ودور نشر وأفراد.. إلخ، بل يتجاوز ذلك إلى المنطق الداخليّ لكلّ جائزة، كبيرةً كانت أم صغيرة، حيث ثمّة فضاء دلاليّ يمكن ـ عبره ـ فحص الآليّات التي تنطلق من خلالها كلّ جائزة، من حيث ارتباطها بالقيم والأفكار التي تحدّد مسارها، ومن حيث صراعها المبطّن والمسكوت عنه مع الجوائز الأخرى المنافسة، لأنّ هذا المنطق الداخليّ لها، وإن كان مصبوباً في هيئة قرارات ورواسم غدت شعاراً وهويّة بالنسبة إليها ـ ومع تحوُّل الجوائز من الطور الفردانيّ غير المقنَّن، إلى الطور المؤسّسيّ، ما يعني انتقال الثقافة والفكر من مرحلة النخبويّة إلى مرحلة المشاعيّة ـ لم يعد مع اختلاف القيم الاجتماعيّة للمعرفة نموذجاً محايداً بالنسبة إلى الجماهير والتيّارات الأدبيّة والسياسيّة المتباينة، التي سرعان ما تحترب حول مذبحة الجائزة، بمجرّد إعلان أسماء المرشّحين لها في الصحف ووسائل الإعلام، قبل أن تتفوّه

الجهة المانحة باسم (سعيد الحظّ) الذي سيحوزها، والذي يعلن جولةً أخرى ـ وقد غنم المجد والمال! ـ من السجالات والمناحرات في الصحافة والتليفزيون والندوات والأمسيات الثقافيّة!

كلّ الجوائز تزعم أنّها (محايدة)! ـ رغم مرجعيّاتها القيميّة والعقائديّة ـ هذا ما يقوله منطقها الداخليّ الماثل في شروطها، أو في البيانات التي عادةً ما يصرِّح بها القائمون عليها، ذراً للرماد في العيون، أو من خلال الظنّ بعالميّة التوجّه أو الإيديولوجيا التي تنتمي إليها الجائزة. وإنّ قراءةً سريعةً في شروط بعض الجوائز العالميّة والإقليميّة والوطنيّة تبيِّن ـ لا أهداف الجائزة فحسب ولكن ـ فكر القائمين عليها، والتوجّهات الثقافيّة والإيديولوجيّة والسياسيّة التي يتحركون من خلالها!

● فجائزة نوبل العالميّة للآداب تتساوق مع فكرة صاحبها الفرد نوبل الداعية إلى نبذ العنف ونشر السّلام في أرجاء المعمورة، يؤكّد ذلك ما جاء في وصيّته التي تنصّ على أن تمنح الجائزة في مجال الأدب ".. للشخص الذي ينتج أبرز عمل في مجال الأدب يتّجه إلى المثاليّة .." [1]، إلى جانب هدفٍ عامّ يدعو إلى".. ألا يقترن منح الجوائز بأي اعتبار مطلقاً فيما يتعلّق بجنسيّة المرشّحين، وأن يحصل أكثرهم جدارةً على الجائزة، سواء أكان اسكندنافيّاً أم لا.."[2]، وقصرت حقّ الترشيح على ".. أعضاء الأكاديميّة السويديّة وغيرها من الأكاديميّات والمعاهد والجمعيّات المشابهة لها

في النِّظام والغاية، وأساتذة الأدب وتاريخ اللغة بالجامعات والكلّيّات التابعة للجامعة، والفائزين السابقين بجائزة "نوبل" في الأدب ورؤساء جمعيّات المؤلّفين ذات الإنتاج الأدبيّ في دولها.."[٣]، ولا تنظر اللجنة إلى الترشيحات الشخصيّة[٤].

● وجائزة الملك فيصل العالميّة في الأدب العربيّ تُمْنَح لمن".. قام بعمل مبدع أو دراسة أصيلة في المجال الذي يتقرَّر فيه منح الجائزة، وينتج عن عمله هذا خدمة واضحة وإثراء اللغة العربيّة وآدابها، بصفتها لغة القرآن الكريم، وذلك وفقاً لتقدير هيئة الاختيار وحكمها. ويجوز أن يشترك في الجائزة الواحدة أكثر من شخص واحد"، ويتمّ الترشيح للجائزة ".. من قِبَل المؤسّسات العلميّة العالميّة كالجامعات، ومراكز البحوث، والمجامع اللغويّة ونحوها ... ولا تقبل الترشيحات التي يقدِّمها الأفراد أو الأحزاب السياسيّة"[٥].

● وجائزة الغونكور: وهي مقصورة على الأعمال الروائيّة التي من شأنها الخروج على القيم الأدبيّة الكلاسيكيّة [٦] للأعمال الروائيّة المكتوبة باللغة الفرنسيّة، وتعدّ من أشهر الجوائز العالميّة التي يتطلّع إليها كتّاب الرواية. وتقوم فلسفتها على تقويض النخبويّة التي تصاحب ـ عادةً ـ الجوائز الكبرى، إذ تقتصر مراسم الحفل على دعوة الفائز بالجائزة ولجنة التحكيم إلى وجبة طعام في مطعم (دوران) في العاصمة الفرنسيّة! [٧].

● وجائزة البابطين الكويتيَّة: وهي مقصورة على الشعر العربيّ ونقده، حيث تمنح كلَّ عامين جوائز في الحقول التالية: الإبداع الشِّعريّ، أفضل ديوان، نقد الشِّعر، أفضل قصيدة. ومن ملامح هذه الجائزة أنَّها تنبثق في هيئة دورات باسم علم من أعلام الأدب العربيّ، يُعقَد على هامشها العديد من الندوات الأدبيَّة والفكريَّة، مثل دورة البارودي، ودورة أحمد مشاري العدوانيّ، ودورة الأخطل الصغير، كما أنَّها جائزة تجول الوطن العربيّ في أثناء الاحتفال بها، بحسب الأقاليم التالية: الجزيرة العربيَّة والخليج، وشمال إفريقيا، وبلاد الشَّام[٨]، إلى جانب أنَّها تقبل الترشيحات الشخصيَّة.

● وجائزة العويس الإماراتيَّة: في حقول الشعر، والقصَّة، والرواية، والدراسات النَّقديَّة، والدراسات الإنسانيَّة[٩]، وتقوم فلسفتها على الانفتاح على مختلف التجارب الأدبيَّة والنَّقديّة والفكريَّة، والتوجُّهات الإيديولوجيَّة المصاحبة لها، بدءاً من القصيدة التقليديَّة إلى التجارب الجديدة في الشعر والرواية والنَّقد، وهذا ما جعلها تسلك في عقد واحد: الجواهريّ وحمد الجاسر وزكي نجيب محمود وفؤاد زكريا وعبد الرحمن منيف والبياتيّ ويمنى العيد وصنع الله إبراهيم والبردّونيّ.. إلخ، فهي ـ كما تصفها إحدى المجلاّت ـ تتيح ".. أوسع الفرص لكلّ التجارب المبدعة، شابَّة أو طويلة التجربة، وممارسة الكتابة، في حصولها على حقِّها بالفوز، إذ يحقّ لكلّ كاتب أن يرشِّح نفسه بنفسه، وبهذا المعنى فهي ليست جائزة

"تتويجيّة" تعطى للكبار سنّاً وتجربةً فقط، وإنّما هي جائزة مفتوحة على كلّ الافق الثقافيّ العربيّ من مشرقه إلى مغربه..".[١٠]

● وجائزة عبد الحميد شومان الأردنيّة: التي تشترط للحصول على الجائزة،"أن يكون الباحث عربيّ الجنسيّة، أو من أصل عربيّ، وأن يكون عمله في الوقت الحاضر داخل الوطن العربيّ ..."، إضافةً إلى اشتراطها للحصول عليها أن يكون الباحث في مرحلة الشباب[١١].

● وجائزة محمد حسن فقي: في حقلي الشّعر ونقده، والهدف من هذه الجائزة التعريف بالشاعر المكّيّ محمد حسن فقي، ولذلك كان مقرّ الجائزة مدينة القاهرة! وتعقَد على هامش الجائزة العديد من الندوات والأمسيات الشعريّة، ويمكن في الأعمال النّقديّة المقدّمة للترشيح أن تكون كتاباً، أو رسالة دكتوراه منشورة، على أن لايمضي على النّشر، لأوّل مرّة، خمس سنوات، وأن لايكون قد سبق للعمل المقدّم الحصول على جائزة، ويمكن الكاتب نفسه ـ شاعراً أو ناقداً ـ ترشيح نفسه [١٢].

إضافةً إلى العديد من الجوائز العالميّة والعربيّة التي تقصر مجال الجائزة على باب محدّد من مجالات الفكر الإنسانيّ رغبةً منها في خلق فضاء واسع وممتدٍّ للإبداع الثقافيّ والفكريّ واستزراع قنوات جديدة في فرع ما من فروع المعرفة؛ مثل جائزة البصير في الدراسات اللغويّة، وجائزة نور الحسين لأدب الأطفال، وجائزة

الإمارات الثقافية لأدب الأمومة، وجائزة أمين مدنيّ للدراسات المتعلّقة بتاريخ الجزيرة العربيّة [١٣].

وفي الوقت الذي تُحَدِّد فيه الجوائز الأدبيّة الحقول التي يتمُّ فيها المنح، سواء في اقتصارها على مجال إبداعيّ ما: الرواية، كما في جائزة الغونكور؛ أو تحديد حقول متعدِّدة ـ ثابتة ـ لمختلف الجوانب الإبداعيّة والنقديّة والفكريّة، كما في جوائز العويس والبابطين ومحمّد حسن فقي، فإنّ جائزتي نوبل والملك فيصل العالميّتين تركتا فضاءً دلاليّاً لمفهوم (الأدب)، دون أن يكون هناك حقول بعينها، يتمُّ من خلالها المنح، فنوبل ـ على سبيل المثال ـ لم يحدِّد ما المقصود بكلمة (أدب) في وصيّته، ولكنّه اشترط اشتمال العمل الفائز على أن يكون (مثاليّاً)، نابذاً للعنف أو العنصريّة، ولذلك اتّفقت لجنة الجائزة على أنّ ".. كلمة "الآداب" تشمل فنون الكتابة التاريخيّة والفلسفيّة ولا تقتصر على فنون المنظوم والمنثور التي جرى العرف في الغرب على تسميتها بالكلم الجميل .."[١٤]، وعلى الرغم من أنّ الجائزة كانت متوجّهةً إلى الأعمال الإبداعيّة ـ روايةً وشعراً ومسرحاً .. ـ فإنّها مُنحت لعددٍ من المؤرِّخين والفلاسفة، كالمؤرِّخ الألمانيّ مومسن، والفيلسوفين راسل البريطانيّ، وبرغسون الفرنسيّ. وبينما قصرت فيه جائزة الملك فيصل العالميّة جائزتها على الأدب العربيّ الذي تعني فيه الإبداع الأدبيّ والدراسات الأدبيّة والنّقديّة ونشر التراث العربيّ القديم، وكانت

النسبة الكبرى لعمليَّة المنح مقصورةً على الدراسة الأدبيَّة والنَّقد والتحقيق، تمَّت عمليَّة المنح للأعمال الإبداعيَّة، على نطاق ضيِّقٍ جداً، عكست فيه، على ما يبدو، موقفها المتحفِّظ من الإبداع الأدبيّ في مجال الشعر والرواية والمسرح، وكذلك التجارب النَّقديَّة الحديثة، سواء على مستوى الأشكال والمناهج، أو على مستوى المضامين الإيديولوجيَّة التي قد ترى لجنة الجائزة أنَّها تتعارض وأهدافها التي طرحتها في النِّظام التَّأسيسيّ لها![١٥] هذا إلى أنَّ الجوائز العربيَّة ـ جميعها ـ تعدّ ـ مقارنةً بنوبل ـ أقرب ما تكون إلى المسابقات الأدبيَّة منها إلى مفهوم الجائزة المبنيّ على التكريم أو التقدير، وذلك لأنَّها ".. تعلن عن الموضوع الذي ستمنح فيه الجائزة في دورتها القادمة، وعلى الكاتب أن يتقدَّم بنفسه، أو من خلال مؤسَّسة ترشِّحه... وهذه الآليَّة في منح الجائزة تعطي الإيحاء أنَّ المؤسَّسات التي تمنحها ليس لديها مستشاروها العالمون ببواطن الأمور في مجال المنح، فإذا كانت الجائزة تمنح في مجال الشِّعر، فمن المفروض أنَّ المؤسَّسة المانحة لديها كلّ ما يتعلَّق بالشِّعر والشُّعراء مثل جائزة نوبل .."[١٦].

في الوقت الذي تقوم فيه آليَّة الجوائز الغربيَّة ".. بتصفية الأعمال الصادرة في نفس السَّنة، واختيار الأحسن... لأعمال بين يديْ القرَّاء.." [١٦].

ويبدو أنَّ عالَم الجوائز لا يخلو من عجائبيَّة وفنتازيَّة، ففي ظلّ

تلك الأجواء المحافظة والرتيبة للجوائز، عموماً، تأتي جائزة (ماك أرثر) الإمريكيّة لكي تخلق لها منطقاً خاصّاً بها، استهدفت فئات معيّنةً من المثقّفين، فعلى الطريقة الإمريكيّة القائمة على العجائبيّ والمدهش، ابتدع الثريّ ماك آرثر منطقاً كاريكاتورياً لجائزته التي يمنح الفائز بها ما يزيد على المئة والخمسين ألف دولار! وتشترط الجائزة أن تكون أحوال المبدع الماديّة في مستوى المتوسط أو ما دونه، وأن تحدث الجائزة ـ وهذا من ضمن شروطها المهمة ـ تغييراً جذريّاً في حياته، حينما تحوّله ـ وكأنّها ليلة من ألف ليلة وليلة ـ من فقير حافٍ إلى ثريٍّ متريّش! وهذا ما يجعل ثلاثين إمريكيّاً، وهو عدد المرشّحين ـ ينتظرون ـ في الحلم أو الحقيقة ـ أن يرنّ جرس هواتفهم عند الفجر ليبشّرهم بالجائزة التي تهبط عليهم من السّماء، وتحدث تغييراً خياليّاً في حياتهم! [١٧] وكذلك جائزة معرض فانكوفر للكتاب في كندا، المخصّصة للروائيّين النّاشئين، حيث تهيّأ لهم الأماكن، على مرأى من روّاد المعرض، ويُطلب إليهم أن يكتب كلٌّ منهم روايةً في ثلاثة أيّام!! خروجاً على نمطيّة المعارض المشابهة، وجلباً لعدد أكبر من الزوّار[١٨].

هوامش الفصل الثالث

١ـ لجنة نوبل، ص ٨٧.
٢ـ لجنة نوبل، ص ٨٧ .
٣ـ لجنة نوبل، ص ١٤٩.
٤ـ لجنة نوبل، ص ١٨.
٥ـ الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية، ص ص ٢٨، ٢٩، وزيد بن عبدالمحسن الحسين، ص ٢٧، ومجلّة الفيصل، العدد ١٠٩.
٦ـ أحمد عبد المعطي حجازي، لمن هذه الجائزة، الشرق الأوسط ١٨/١/١٩٨٥م.
٧ـ محسن محمد، ص ٦٧.
٨ـ الشرق الأوسط، ٤/١١/١٩٩٦م، والجزيرة، ٢١/٢/١٩٩٣.
٩ـ الشرق الأوسط، ٢٧/١٢/١٩٩٥م.
١٠ـ الشروق الإماراتيّة، ٦/٤/١٩٩٤م .
١١ـ الشرق الأوسط، ٢٦ نوفمبر ١٩٩١م .
١٢ـ الحياة ١٥/٤/١٩٩٦م، الخليج ٢٥/١٢/١٩٩٥م.
١٣ـ تخليداً لذكرى المؤرِّخ السيِّد أمين مدنيّ، وهي " جائزة سنويَّة... لأفضل كتاب أو بحث أو رسالة جامعيَّة أو كشف علميّ أو أثريّ أو تحقيق لكتاب يدور حول تاريخ الجزيرة العربيَّة وجغرافيَّتها والدراسات المتعلّقة بها.."، ويمكن أن يكون العمل المقدَّم مطبوعاً أو مخطوطاً. محمد صالح البليهشي، ص ١٤٣.
١٤ـ عباس محمود العقاد، شاعر أندلسي وجائزة عالمية، ص ص ٣٠، ٣١.
١٥ـ من المواسم التي حُجبت فيها جائزة الملك فيصل العالميَّة، جائزة المسرحيَّة المؤلّفة باللغة العربيَّة الفصحى شعراً أو نثراً (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، وجائزة الدراسات المتعلّقة بالرواية العربيَّة (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، وجائزة السيرة الذاتية عند الأدباء العرب المعاصرين (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، زيد بن عبد المحسن الحسين، ص ٤٧. ومع أنَّ لجنة الجائزة سوَّغت الحجب بعدم رقيّ الأعمال المقدَّمة إلى المستوى

المطلوب، فإنَّ السؤال عن الحيثيّات الدقيقة لذلك الحجب ما يزال مشرعاً، خاصّةً أنَّ هناك أعمالاً متميِّزة في حقلي المسرح، والدراسات النقديّة المتعلّقة بالرواية، وهو ما قد يعكس موقف الجائزة المتحفِّظ من الإبداع الحديث في مجالي المسرح والنّقد الروائيّ، سواء على مستوى المضامين التي قد تتعارض مع فلسفة الجائزة وأهدافها، أو على مستوى التجريب والمناهج! ولا يغيبنّ عن الأذهان - والحديث، هنا، عن حجب جائزة الملك فيصل في المسرح - أنّ المسرحيّ الرّاحل سعد الله ونّوس كان قد تمّ ترشيحه إلى جائزة نوبل قبل وفاته - رحمه الله - (١٩٩٧م) بمدّة وجيزة!!

١٦- محمود قاسم، آليّات الجوائز الأدبيّة: مسابقات، أم تشجيع، أم تكريم؟ (الهلال، مارس ١٩٩٦م)، ص ٨٨.

١٧- ملحق الأربعاء ١١/١٠/١٩٩٥م.

١٨- محسن محمد، ص ص ١٧، ١٨ . ومن طريف الجوائز في التراث العربي، ماارووه من أن إبراهيم بن هرمة الشاعر المعروف، كان "٠٠ مولعاً بالشراب، وأخذه خثيم بن عراك صاحب شرط المدينة لزياد بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس، فجلده الحدّ... ولما ولي أبو جعفر شخص إليه وامتدحه، فاستحسن شعره، وقال: سل حاجتك، قال: تكتب إليّ عامل المدينة أن لا يحدّني إذا أُتي بي إليه وأنا سكران!! قال أبو جعفر: هذا حدّ من حدود الله تعالى، وما كنت لأعطله، قال فاحتلْ لي فيه يا أمير المؤمنين، فكتب إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مئة جلدة ، واجلد ابن هرمة ثمانين! فكان العَوْن (أي الشرطي) يمرّ به وهو سكران فيقول :من يشتري ثمانين بمئة!! ويجوزه"! ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م)، ٢/٧٥٣، ٧٥٤.

العتبة !

ولكن، ينبثق هنا سؤال ـ ونحن نرى أعناق الأدباء والمثقفين والفنّانين تشرئبّ إلى كلّ جائزة قديمة أو جديدة، حتّى أنّه يبدو لي أنّ دليل هواتف أولئك المثقفين غدا مزدحماً بأرقام هواتف تلك الجوائز، وعناوين مقرّاتها، وشروطها، والأهمّ أرقام المبالغ الماليّة الضخمة التي تغازل خيال كلّ شخصٍ منّا! ـ هذا السؤال يتعلّق بأهميّة الجوائز الأدبيّة والفنّيّة؟

تختلف قيمة الجوائز الأدبيّة من حيث أهمّيّتها الثقافيّة والماديّة من جائزة إلى أخرى، وبحسب الشهرة والمجد اللذين تجلبهما لمن يحوزها، وبحسب القيمة الماديّة التي يتحصّل عليها الأديب الفائز التي تتراوح في بعض الجوائز ما بين ١٥ دولاراً ـ كما في الغونكور ـ ومئات الألوف من الدولارات!! ـ كما في نوبل والملك فيصل ـ ولاشكّ أنّ فكرة الجوائز الثقافيّة التي غدت من مظاهر العصر الحديث، وعلامة من علاماته المهمّة، أعطت ثقلاً كبيراً للبناء الثقافيّ للشعوب، وأظهرت الدور الأساسيّ الذي تقوم به الثقافة في

أيّ مجتمع من المجتمعات الحديثة، فبعد أن كانت بنية الدولة الحديثة تقوم على ثلاثة أنظمة، هي: النظام السياسيّ والنظام الاجتماعيّ والنّظام الاقتصاديّ [١]، أدركت أهميّة النظام الثقافيّ الذي يعدّ بمنزلة البنية التحتيّة لتلك الأنظمة مجتمعةً، إذ".. بدونها يفقد المجتمع تماسكه، وتنتهي أبنيته وأنظمته إلى التصدّع والتهدُّم، واستقرّ الحال... بعد خبرات طويلة... على أنّ سلامة النّظام الثقافيّ هي المدخل الأوّل إلى سلامة كلّ أنظمة المجتمع..." [٢]، خاصّة أنّ البنية الثقافيّة اتسعت دائرتها مع بزوغ المطبعة والفلسفات الاجتماعيّة الحديثة التي غيّرت المعادلة النخبويّة للمعرفة، وأحدثت تغييراً جذريّاً في حركة العلاقات الاجتماعيّة، موسِّعةً ـ مع انتشار الكتاب المطبوع ـ من دائرة الطبقة الوسطى، الذي كسر طوق احتكار فئةٍ بعينها حقّ المعرفة الإنسانيّة، ".. فما كان امتيازاً لأرستقراطيّة المثقّفين أصبح "همّاً " ثقافيّاً عند نخبة بورجوازيّة منفتحة نسبيّاً، ثمّ في العهد الحديث غدا وسيلة تنمية ثقافيّة للجماهير" [٣].

ويمكن النّظر إلى أهمّيّة الجوائز الأدبيّة والفنّيّة من خلال هذه الأطراف التي تدور في فلكها الجائزة، بوصفها علامةً غير محايدة، أي بمعنى أنّها تعيش في وسط محيط اجتماعيّ مشبع بالعقائد والإيديولوجيّات والمصالح الطبقيّة:

١ـ المبـدع:

تختلف الجوائز الأدبيّة بالنسبة إلى المبدعين، بحسب اختلاف أهداف الجائزة، ذلك الاختلاف الذي نجده ماثلاً بين جوائز اكتشاف المواهب الأدبيّة والفنّيّة التي تدخل في باب المسابقات أكثر من باب التقدير، كما هو الحال في جوائز المسابقات الخاصّة بالأندية الأدبيّة وجمعيّات الثقافة والفنون والمجلاّت الثقافيّة التي يمكنها أن تجد إقبالاً جماهيرياً منقطع النّظير، قد يصل في بعض الأحيان إلى بضعة آلاف من المتسابقين، الذين يتداخل في وعيهم الثقافيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ الهدف الثقافيّ والمعرفيّ للجائزة، بالحسّ الاستهلاكيّ الذي تعوّد عليه المواطن العربيّ، في ظلّ آليّات المجتمع الاستهلاكيّ الذي يحاصره بالجوائز والمسابقات، بدءاً من شاشات التليفزيون وانتهاءً بمراكز التسويق والصحف والمجلاّت! أو الجوائز التشجيعيّة التي من همّها تشجيع المثقّفين على الإبداع والتميُّز، وتبيئة الوعي الثقافيّ والفكريّ في المجتمع، وهو ما سيؤدّي إلى بثّ روح التنافس، وخلق أجيال جديدة من المبدعين في المجالات العلميّة والإنسانيّة كافّةً، أوتلك الجوائز الكبرى التي يحوزها كبار الأدباء والمفكّرين كجوائز نوبل والملك فيصل والغونكور.. إلخ.

إنّ هناك جوائز تدخل ضمن سياسة المؤسّسات الثقافيّة ولوائحها، التي من شأنها تنمية المواهب والكشف عن النبوغ

العلميّ والأدبيّ بين الناشئة، حفزاً لهم على مواصلة الإبداع، وتقديراً لمواهبهم الكامنة، ما ينعكس على نفسيّة أولئك الأدباء الناشئين، الذين يُعَبِّر عنهم عادة بمصطلح (شداة الأدب)! [٤] والعجيب في أمر هذه الجوائز، أنّ معظم الأدباء الشُبّان ممن وجدوا طريقهم إلى البروز في الساحة الأدبيّة عبر الصحف والمجلاّت، يمارسون نوعاً من الترفّع الطبقيّ (الأدبيّ) عليها، بزعم أنّهم تجاوزوا هذه المرحلة، وبأنّهم لم يعودوا من شداة الأدب، من ناحية، ولعدم ثقتهم بآراء المحكّمين وتقييمهم للإبداع نظراً لاختلاف المقاييس الأدبيّة والنّقديّة من تيّار إلى آخر، وتفشّي الأمراض البيروقراطيّة التي أثقلت كاهل تلك المؤسّسات، التي ما لبثت أن تنظر إلى تلك الجوائز والمسابقات، لا على أساس كونها مجالاً للإبداع والتجريب والاختلاف، ولكن بوصفها جزءاً من لوائحها البيروقراطيّة! ولذلك انصرف معظم الأدباء الشُبّان عن تلك الجوائز التي وجدت طريقها هيّناً ليّناً إلى الكثير من الأسماء الهامشيّة، وبقيت تلك الجوائز كما هي، دون أن يحدث فيها تغيير جذريّ.

إلاّ أنّ القاسم المشترك بين الجوائز الصغرى والجوائز الكبرى أنّها تحقّق ـ على المستوى النّفسيّ والاجتماعيّ ـ مجداً أدبيّاً، كبر أو صغر، وكأنّها بمنزلة طقس تعميد أدبيّ! ولا شكّ أنّ تلك الجوائز التي تستهدف المبدعين الجدد ـ ومعظمهم لم يقم بطباعة أيّ عمل من أعماله ـ كان لها أن تحقّق الكثير من أهدافها التي من همّها

كسر طوق هيمنة أسماء بعينها على الخارطة الأدبيّة سواء على المستوى الوطنيّ أو العربيّ، واستطاعت أن تنجح في كثير من الأحيان في تقديم دماء جديدة إلى الساحة الأدبيّة، كما نجد على سبيل المثال في جوائز يوسف الخال التي تقدِّمها مجلّة النّاقد اللندنيّة سابقاً، وجوائز سعاد الصباح في الشعر والقصة والنقد، وجوائز المركز الثقافي في الإمارات، أو مسابقة القصّة القصيرة التي تقدِّمها مجلّة العربيّ الكويتيّة [٥]، أو بعض الوسائل الإعلاميّة المختلفة كتلك الجوائز الأدبيّة القديمة التي تقدِّمها هيئة الإذاعة البريطانيّة، والتي ظلّ الكثير من الأدباء الكبار يشعرون بالفخر، لكونهم حصلوا عليها، حينما كانوا في بداية الطريق، مثل الشاعر محمّد حسن عوّاد والشاعر محمد سعيد العامودي!

وتعدُّ الجوائز الأدبيّة الكبرى بمنزلة طقس تعميد أدبيّ لمن يحوزها، وتتحوّل بمجرّد حيازتها، إلى لقب جديد يضاف إلى اسمه: (نجيب محفوظ الحائز جائزة نوبل! محمود محمّد شاكر الحائز جائزة الملك فيصل! الطاهر بن جلّون الحائز جائزة الغونكور!)، مثلهم مثل النوّاب في البرلمانات والمجالس النيابيّة، الذين تمثّل لهم هذه المجالس عتبة مقدّسة تفصل عالمهم الذاتيّ إلى ما قبل وما بعد! بل إنّ الأمر يزداد حيرةً وتعجُّباً بالنسبة إلى الكثيرين من الأدباء والمفكّرين الذين حاموا حول (نوبل) ـ على سبيل المثال ـ وغازلوا عيونها، من خلال ترشيحهم لها، ولكنهم لم يحوزوها، إذ إنّ هؤلاء

الأدباء لا يختلفون من حيث الشكل عن مرشّحي الأحزاب السياسيّة للمجالس النيابيّة والبرلمانات، ممّن لم يحالفهم الحظّ! حيث يغدو مجرّد الترشيح للجائزة/البرلمان مجداً رمزيّاً لا يختلف عن المجد الذي حصل عليه من حاز الجائزة أو تخطّى عتبة البرلمان! وهذا القول لايأتي، هنا، من باب ضرب الكلام على علاّته، ففي الكواليس النوبليّة - نسبة إلى جائزة نوبل - من يسمّون بـ (النوبليّين)، وهو مصطلح يُطلَق - عادةً - على من رُشّحوا لجائزة نوبل ولكن لم يحوزوها، ففي الوقت الذي تسلّط به العديد من الأقلام منتقدةً تلك الجائزة وقصرها على فئاتٍ بعينها:

".. تنبّه القائمون على منح الجائزة لهذه الحساسيّة... وأمام هذه الحساسيّة فكّر البعض في ابتداع تعبير جديد يمكن به امتصاص الغضب... هذا التعبير هو " النوبليّون " وهو يعني قائمة طويلة من الأدباء الذين لم يفوزوا بالجائزة في هذا العام مثلاً. ولكن يمكنهم أن يفوزوا بها في الأعوام القادمة... وعليهم الانتظار. ومن يموت منهم قبل أن يجيء دوره فيكفيه شرف الحصول على لقب "نوبليّ".. وكأنّ شرف الانضمام إلى قائمة "النوبليّين" يقارب، إلى حدٍّ كبير، من شرف الحصول على الجائزة .." (٦).

وتسهم الصحف والمجلاّت ووسائل الإعلام المختلفة في التمسّح بعتبات نوبل، حتّى غدا من المعتاد في الصحافة الأدبيّة العربيّة إطلاق مصطلح (المرشّح الدائم لجائزة نوبل) على الشاعر العربيّ

أدونيس،[٧] والأمر ذاته بالنسبة إلى مَن سمع - ولو من خلال الشائعات! - أنّه رُشِّح لهذه الجائزة العالميّة، إذ بمجرّد أن يشيع في النّاس أنّ مثقّفاً ما رُشِّح لهذه الجائزة، تبدأ الصحافة العربيّة جولات وجولات من التحقيقات واللقاءات الصحفيّة والتليفزيونيّة المطوّلة عن ذلك الفارس (العربيّ) الذي سيمتطي صهوة جائزة نوبل، حتّى ليحسب المتابع - وقد يكون كذلك بالنسبة إلى المرشّح - أنّ هذا المثقّف قد حاز - فعلاً - الجائزة، وعاد بها سالماً غانماً إلى أرض الوطن! ومن ذلك ما حدث مع المفكّر الإسلاميّ العالميّ - كما يصف نفسه! - الدكتور رشدي فكّار الذي شاع في الأوساط الصحفيّة والثقافيّة في أواخر السبعينيّات الميلاديّة، أنّه أحد المرشّحين الأقوياء لجائزة نوبل! فما كان من وسائل الإعلام العربيّة إلا أن تنهال عليه بتلك الحوارات الصحفيّة المطوّلة، مثل الحوار الذي أجرته معه مجلّة (الفيصل) - عام ١٩٧٨م - بوصفه، كما تقول المجلّة، ".. أوّل مفكّر عربيّ إسلاميّ يقرّ ترشيحه لجائزة نوبل العالميّة في الأدب، وهو أوّل مفكّر في القارّة الإفريقيّة والآسيويّة يقرّ ترشيحه لهذه الجائزة العالميّة باستثناء اليابان، بعد الشاعر الهنديّ "طاغور"..."، ولا يكتفي فكّار، وقد تقلّد، في خياله الواعي، الجائزة، فعلا!! بذلك، بل يعلّل سبب ترشيحه بقوله:لـ "..حضوري وتمرّسي وممارستي للفكر العالميّ، وانفتاحي عليه، وربّما لوجودي في قلب المعركة، وهذا الحضور الجسدي في اللقاءات والجمعيّات الأدبيّة والنّدوات.."! [٨].

ولكن، ما الفائدة التي تعود على الأديب أو المفكّر الكبير في المقام، والكبير في السِّنّ، الذي حاز جائزة كبرى؟ (نوبل ـ الملك فيصل ـ الدولة التقديريّة.. إلخ)؟ هل تكون الجائزة الممنوحة لأديب في أواخر عمره ـ كما يقول الروائيّ بهاء طاهر:".. أشبه بوصول المطافئ بعد انتهاء الحريق... بعد أن يكون مستغنياً عنها ماديّاً وأدبيّاً .." [٩]. أم كما قال برنارد شو عندما بُلّغ باختياره المتأخّر لجائزة نوبل: "إنّهم طرحوا له عوّامة النجاة بعد وصوله إلى برّ الأمان!" [١٠] إنّ الجوائز الأدبيّة الكبرى التي تجيء بوصفها تتويجاً للمسيرة الإبداعيّة للأديب أو المفكّر، لا تصنع مثقّفاً، ولاتضيف إلى قيمته الأدبيّة الإبداعيّة حافزاً جديداً، وذلك لأنّها جائزة تتويجيّة لمسيرته الإبداعيّة، [١١] إنّها اعترافٌ بفضله على الفكر الإنسانيّ، لأنّنا نعرف أنّ أهمّ إبداعات نجيب محفوظ الروائيّة كان قد حقّقها قبل عقود من حصوله على جائزة نوبل، والأمر ذاته يقال بالنسبة إلى يحيى حقّي الذي حاز في أخريات عمره ـ رحمه الله ـ جائزة الملك فيصل العالميّة في الأدب العربيّ، فالجائزة لاتصنع أديباً كبيراً، ولكنّها تتوّج أعماله بشكره واعترافها بأياديه البيضاء على الفكر الإنسانيّ. ولقد حلّل أديب العربيّة الكبير عبّاس محمود العقّاد ـ ذلك المفكّر الذي وقف جزءاً من نشاطه الكتابيّ على متابعة جائزة نوبل ـ مسألة حيازة الأديب جائزةً كبرى في أواخر عمره، في مداخلة له على مقولة شو السالفة، حيث يرى العقّاد أنّ شو نظر

" إلى النّاحية الماديّة من الجائزة لأنّه كان في سعة من الرزق... ولو أنّ برنارد شو نظر إلى النّاحية الأدبيّة لكان شأنه منهَا كشأن غيره من الأدباء العالميّين الذين استحقوها، إلا أنّهم جميعاً قد وصلوا إلى برّ الأمان، حين اختارتهم لجنة نوبل لجوائزها السنويّة... أمّا الإنتاج الأدبيّ، فلا نعرف أديباً ظهر له بعد حصوله على الجائزة أثر منظوم أو منثور يفوق آثاره الناضجة قبل الحصول عليها، ولو كان المقصود بهذه الجوائز أن تخلق الإبداع وتوفّر وسائل النّضج لمن يستحقّها لما أفادت شيئاً من هذه النّاحية، ولكنّها في الغالب إنّما تأتي لتقدير الأديب أو لتتويج عمله... هي بالنسبة إليه نتيجة منتهية وليست بالمقدّمة التي تتلوها نتائجها، وَخير ما فيها من فائدة موعودة فإنّما هو نصيب القرّاء أو نصيب الحياة الأدبيّة ولا سيّما أدب النّقد والمقارنة.."(١٢).

إلاّ أنّ المسألة الماديّة لا يمكن أن تهمَّش في هذا السياق، خاصّة إذا كانت قيمة الجائزة ضخمة، كما هو الحال في جوائز نوبل والملك فيصل والدولة التقديريّة في المملكة العربية السعودية والعويس والبابطين! حيث لا يستطيع الأديب الفائز، بسبب العجز والشيخوخة ومعايشة المرض، أن يتمتّع بتلك التركة الضخمة التي تمثّلها قيمة الجائزة، كما حدث بالنسبة إلى يحيى حقّي وقيمة جائزة الملك فيصل الضخمة، التي أحسب أنّه لم يستمتع بها كثيراً نتيجة وفاته بعدها بمدّة يسيرة، أو كما حدث بالنسبة إلى أحمد عبد الغفور

عطّار وأحمد السَّباعيّ اللذين ودَّعا الحياة ـ رحمهما الله ـ بعد حصولهما على جائزة الدولة التقديريّة بزمن يسير، مع أنَّ من ضمن مزايا جائزة الدولة التقديريّة أن يحصل الأديب الفائز على مبلغ مئة ألف ريال مدى الحياة!! ولذلك كان من بين أسباب انتقاد يوسف إدريس ـ الذي عشَّم نفسه كثيراً بالحصول على نوبل ولكن دون جدوى ـ حيازة نجيب محفوظ جائزة نوبل، أنَّه ـ أي نجيب محفوظ ـ لن يستطيع أن يتمتَّع بقيمتها الماليّة الضخمة، ويسافر بها هنا وهناك، لكبر سنّه، ولذلك كان يقترح ـ رحمه الله ـ أنّه من المفروض أن يأخذها محفوظ حينما كان في الخمسينيّات من عمره، لا حينما يكون في أواخر السبعينيّات، [١٣] غير أنّ القدر أمهل نجيب محفوظ، ولم يمهل يوسف إدريس الذي لا أظنُّ ـ بناء على رأيه ذلك ـ أنّه سوف يتمتَّع بالجائزة الماليّة الضخمة، لو أنَّ نوبل رست عليه!! [١٤]

٢ـ الجائـــزة:

وهي العروس التي ينفق في طلبها ونيل رضاها الغالي والنفيس! والتي يعدّ الحصول عليها، إضافةً جديدة إلى حياة من حازها، تسبغ عليه الشرعيَّة، وتضيف لقباً تشريفيّاً إلى ألقابه السّابقة، الأسريّة منها والعلميّة، وكأنَّه سوف ينضمّ ـ وبخاصّة إذا كانت الجائزة ذائعة الصيت ـ إلى مجمع الأولمب! الكلّ يحلم بها، ويمنّي نفسه بخطبتها، ولكنَّها تأبى إلا أن تبحث هي عن فارسها

الجديد، تطلب ودّه، وتخطبه إليها، إنّها امرأة ـ برغم شيخوختها وكبر سنّها ـ يتهافت الرجال عليها، ويختصمون حولها، الكلّ يزعم أنّها سوف تغدو من نصيبه، ولكنّها تقف في شرفة قصرها المسحور مردِّدةً، وبكلّ لغات الدنيا، قول الشّاعر العربيّ:

وكلّ يدّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا!

وتختلف (الجائزة) ـ بألف لام العهد ـ عن كلّ الجوائز الأخرى، حيث تتحوّل تلك الجوائز إلى مجتمع طبقيّ أشبه ما يكون بالمجتمع الإنسانيّ، فللجوائز حسبٌ ونسبٌ، فهناك جائزة نبيلة لا تمنح إلا للنبلاء، وهناك جائزة كادحةٌ تبحث عن الدهماء، وكما أنّ هناك زحاماً على جوائز بعينها، فإنّ هناك جوائز تبتذل نفسها، حينما تبحث عن خطّاب لها، ويمكن أن ترجع إلى مقرّها بخفّي حُنين لأنّها لا تشرّف خاطبيها! ولمّا كانت الجوائز الأدبيّة علامة ـ بالمفهوم السيميائيّ ـ من علامات المجتمعات الحديثة، فإنّها تخضع في ذيوعها ورواجها إلى المفهوم التسويقيّ للعلامة التّجاريّة، التي يتدخّل في انتشارها، والإقبال عليها، قيمتها الأدبيّة، ومصدر إنتاجها، إضافةً إلى تلك المقاييس العالميّة (الاقتصاديّة) التي تخضع المُنتَج إلى مسألة العرض والطّلب، ما يعني رواج منتَج أو منتجَيْن أو ثلاثة، وشدّة الإقبال عليها، وبقاء سائر المنتَجات (=الجوائز) في مستوًى واحد من الإنتاج، وقد يتعرّض بعضها إلى الكساد، أو أن يمكث في الظلّ لا يبرحه! وتضاف إلى القيمة

الاعتباريّة للجائزة، القيمة الماديّة لها ـ كما في حالة جائزتي نوبل والملك فيصل العالميّتين ـ

إلا أنّ القيمة الماديّة ليست هي كلّ شيء فيها ـ خاصّة في المجتمعات الغربيّة التي تحوّلت فيها الجائزة إلى صناعة اقتصاديّة مربحة تضمن رواج الكتاب ـ فهذه جائزة الغونكور الفرنسيّة لاتتجاوز قيمتها الخمسين فرنكاً (١٥ دولاراً تقريباً)! ولكن يزدحم على بابها نحو خمسمئة روائيّ في العام! [١٥] فضلاً عن أنّها تحقّق للرواية الفائزة رواجاً منقطع النّظير.

٣ـ القارئ (المتلقي):

ويرتبط ذلك بخروج مفهوم الجوائز الأدبيّة والفنّيّة من نفق الفردانيّة التي تجعل من الثقافة جزءاً من القيمة الاجتماعيّة للنخب المتنفّذة، لتصبح، مع انتقالها إلى المفهوم المؤسّسيّ، أكثر ارتباطاً بالجماهير الغفيرة من مختلف الطبقات الاجتماعيّة، ما جعل من مشاعيّة القراءة والثقافة جزءاً من البناء الاجتماعيّ الحديث، ومن التجذير الاجتماعيّ للفلسفات الحديثة والمعاصرة، التي تزامنت مع اختراع آلة الطباعة التي قوّضت ثقافة مرحلة بكاملها، هيمنت على مفاتيح المعرفة، وغدا من أهداف الجائزة المؤسّسيّة الوصول إلى أكبر قطاع من الجماهير القارئة، تحقيقاً للأهداف القوميّة للحكومات المعاصرة، وتجذيراً للقيم والأفكار السياسيّة والثقافيّة والدينيّة.. إلخ، ولذلك أصبحت مواسم الجوائز الأدبيّة في الغرب بمنزلة الأعياد

التي ينتظرها المؤمنون، أو لعلّها إذا أردنا تشبيهاً حسّيّاً ذا دلالة ".. أشبه بصناعة لكعك العيد في شهر شوّال. فشهيّة النّاس لقراءة مثل هذه الروايات أشبه بشهيّة الصائمين للتحلّي بالكعك .." ـ كما يصوّر ذلك أحد الباحثين ـ (١٦)، ومن ثمّة تشتعل حمّى النشر التي تستهدف من وراء ذلك الدخول في (أولمبياد الجوائز) التي لا تنتهي مواسمها طيلة العام، محقّقة أهدافاً عدّة في وقت واحد، يأتي القارئ العاديّ بوصفه جزءاً أصيلاً منها.

٤ـ المجتمع:

استطاعت الجوائز العالميّة ـ ونوبل على وجه خاصّ ـ أن تكون جزءاً كبيراً من (الانتصارات) الوطنيّة التي تحرص دول العالم على أن تحقّقها. إنّ حصول أديب ما على جائزة نوبل يتحوّل من كونه ظاهرة فرديّة خاصّة بذلك الأديب، ليصبح ملحمة وطنيّة من ملاحم الانتصار التي تحرص الدول ـ عادةً ـ على أن تضمّها إلى تراثها الوطنيّ، وبمجرّد إعلان اسم ذلك الأديب، تتحوّل تلك البلاد التي ينتمي إليها إلى ساحة من الأفراح الوطنيّة الكبرى التي تغمر الشوارع والميادين ووسائل الإعلام الوطنيّة المختلفة، وكأنّ الوطن قد حقّق انتصاراً عسكريّاً كبيراً، أو على الأقلّ قد حقّق انتصاراً كرويّاً دوليّاً أو إقليميّاً، ويتساوى لدى المواطن العاديّ ـ الذي قد يكون أمّيّاً ولا يعرف من اسم هذا الأديب إلا كونه مواطناً له ـ الانتصار الكرويّ والانتصار الأدبيّ، فكلا الانتصارين في عرفه حشد لمخياله

الاجتماعيّ، ولا تقف هذه الاحتفاليّة عند حدود الجماهير، بل إلى النخبة السياسيّة التي تجعل من هذا الإنجاز الأدبيّ (الفرديّ) حدثاً وطنيّاً ذا أبعاد سياسيّة وشعبيّة لافتة للنظر، كما حدث عشيّة إعلان فوز الأديب الإيرلنديّ هيني [١٧]، وما حدث بالنسبة إلى الأديب العربيّ نجيب محفوظ عام ١٩٨٨م! حيث كان فوزه بجائزة نوبل - يقول رجاء النقّاش - ".. فرحاً قومياً غامراً، اشترك فيه جميع أبناء الوطن، وامتدّ الفرح إلى أبعد من حدود مصر الإقليمية. فأصبح فرحاً عربياً شاملاً .."![١٨] هذا إلى أنّ موسم الجوائز في العالم كلّه - وفي الغرب على وجه خاصّ - يصبح جزءاً من الحديث اليوميّ بالنسبة إلى عامّة النّاس، حيث استطاعت اللعبة الإعلاميّة (الإعلانيّة) أن تجعل من تلك المواسم لغة معتادة في المقاهي والأسواق وأماكن العمل المختلفة، الكلّ يتحدّث عن هذا الأولمبياد الثقافيّ الجديد، يمارس التكهن والتنبؤ! ويمنّي نفسه بموسم قرائيّ حافل، ولذلك تتّسع دائرة القراءة، أو على الأقلّ الاهتمام بالأحداث الثقافيّة، لتستقبل جماهير جديدة تزيد من نسبة القرّاء، ولا تجعل لآلة الطباعة وقتاً ترتاح فيه! ويصبح الاهتمام بالقراءة ومتابعة أخبار مواسم الجوائز والمؤلفين والناشرين، جزءاً من الأدبيّات الاجتماعية التيّ لا يسع المواطن العاديّ الجهل بها![١٩]

٥- النّاشر:

لعلّ النّاشر، هذا الجهاز الحديث، أكثر الأطراف استفادةً من

الجائزة، بل إنَّ هذا الجهاز يعدّ من ضمن مجموعة أسباب كان لها أن تجعل من الجوائز الأدبيّة ظاهرةً عالميّة، مثلها مثل البورصة وكرة القدم! وهو يمارس - رغم صمته الذي لا يقطعه سوى الإشارة إليه على غلاف الكتاب - هيمنةً كبيرة على أذواق النَّاس وتوجّهاتهم[٢٠]، وكأنّه تحوّل إلى (لوبي) خفيّ يمارس ضغوطه على الإبداع الفكريّ، وعلى توجّه الجوائز ذاتها، التي كان يمارس تأثيره فيها، بل أن يقوم بتأسيسها في بعض الأحيان [٢١]، ما ينعكس على نشاط النشر الذي تحوّل إلى (حمّى) مشتعلة لا تني اشتعالاً وسيرورة في مواسم بعينها في السّنة، عبر تلك الإصدارات الكثيفة من مختلف ضروب المعرفة، وبخاصّة ماله علاقة بأقانيم الجائزة،[٢٢] محوّلاً الكتاب، بوصفه تجسُّداً للثقافة والمعرفة، إلى سلعة رائجة خاضعة للعرض والطلب، ومشكّلاً دفعاً حقيقيّاً لحركة الاقتصاد الوطنيّ، من خلال تلك الأرقام الفلكيّة التي ينتقل بها الكتاب الفائز من مجموعة آلاف لاتتجاوز أصابع اليد الواحدة، إلى مئات الألوف، وفي بعض الأحيان إلى عدّة ملايين من النسخ! [٢٣] وهو ما يؤول في نهاية المطاف إلى خزانة النّاشر المستفيد (الخفيّ والصّامت) من تلك الجوائز الأدبيّة الشهيرة. فالمعروف عن جائزة الغونكور الفرنسيّة للرواية، التي تحقّق لحائزها مجداً أدبيّاً كبيراً، أنّها لاتتجاوز الخمسة عشر دولاراً! إضافةً إلى حفل عشاء محدود في مطعم من مطاعم العاصمة الفرنسيّة - هذا كلّ شيء بالنسبة إلى الأديب الذي عُمِّد بطقوسها - غير أنّ المستفيد الأكبر من هذه الجائزة

ـ على المستوى الماديّ ـ هو النّاشر الذي ضمن طبع مئات الألوف من تلك الرواية التي ينتظرها القرّاء الجياع بفارغ الصّبر، يقابلها مئات الملايين من الدولارات أو الفرنكات ـ سيّان ـ التي كان ـ هو كذلك ـ ينتظرها بفارغ الصبر!! والتي سوف ينال الروائيّ الفائز جانباً من الحظّ، تحقيقاً للمثل الشعبيّ: "مِنْ جاور السَّعيدْ يِسْعَدْ!" (٢٤).

٦ـ الحياة الثقافيّة:

يُرجِع العقّاد أهميّة الجوائز الأدبيّة الكبرى إلى انعكاسها الإيجابيّ على القرّاء، وعلى "·· الحياة الأدبيّة ولا سيّما أدب النّقد والمقارَنة .."، وذلك لأنّ أمثال هذه الجوائز ـ فيما يرى ـ ليس المقصود منها ".. أن تخلق الإبداع... ولكنّها في الغالب إنّما تأتي لتقدير الأديب أو لتتويج عمله.."(٢٥)، ولا يقف الأَمر عند هذا الحدّ، بل إنّ أهميّة الجوائز الخاصّة بالروايات، تكمن في كونها تتجاوز المفهوم التقليديّ للقراءة، وذلك عندما يشفع لها فوزها بأن تتحوّل إلى أعمال سينمائيّة أو مسرحيّة، تزيد من القيم الفنيّة الممتازة، (٢٦) وهو ما يعني أنّ مواسم تلك الجوائز تكون بمنزلة الدورة الدمويّة الثّقافيّة، من خلال ما تبثّه من وعي ثقافيّ وفكريّ، يبدأ من الصّحافة والمنتديات، وينتهي بأروقة الجامعة.

ولَمّا كانت الجوائز الأدبيّة الحديثة قد ارتضت لنفسها أن تتوجّه إلى الجماهير الغفيرة من القرّاء، بمختلف توجّهاتهم الدينيّة والأدبيّة

والسياسيّة والإيديولوجيّة، فإنّ ذلك يعني أنّها غير منفصلة عن المجتمع بمؤسّساته المتعدّدة، ما دامت قد اختارت لنفسها الخروج بالأديب من صورته التقليديّة التي تجعل منه (مادحاً)، ومن النبيل (مانحاً)، لتصبح أدخل في حركة الواقع بمؤسّساته الثلاث: السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، إنّها أبت أن تكون شأناً فرديّاً يخصّ المادح والمانح، لتغدو موضع جدل كلّ تلك المؤسّسات، بل تعدّتهم إلى الأفراد! ولذلك كان من الطبيعي أن يشكّل المجتمع ثقلاً رمزيّاً في موازين أيّ جائزة أدبيّة، وكأنّه صار لزاماً عليها ـ لتصبح شرعيّةً ـ أن تتعمّد برضا المجتمع بمؤسّساته المختلفة، وتيّاراته المتناحرة، وكأنّ جماهير القرّاء ـ وغير القرّاء ـ وجدت الفرصة مهيّأة لها كي تعبّر عن رأيها، بتلك الحريّة التي لم تكن تخوّلها لولا تلك الثورة العلميّة ذات الجذور الاجتماعيّة التي حوّلت الكتاب من مخطوط (نخبويّ) إلى مطبوع (شعبيّ)! بل إنّ القوّة الضّاغطة للجماهير ـ في بعض المجتمعات ـ قد تصل إلى مرحلة استعدادها باستخدام العنف ـ بمعناه الحقيقيّ ـ دون منح الجائزة للأديب الفائز، الذي يتجاوز منحها إيّاه التقدير أو التشجيع أو التكريم، ليصبح ـ في عرف تلك الجماعات ـ أشبه بانتصار حقيقيّ لفئة على فئة![٢٧]

هوامش الفصل الرابع

١ـ عبد المنعم تليمة، الجوائز الأدبيّة العربيّة: السلطان والفنّان (الهلال، مارس ١٩٩٦م)، ص ٧٠ .

٢ـ عبد المنعم تليمة، ص ٧٠ .

٣ـ روبير اسكاريبت، ص ٢٩.

٤ـ محمد صالح البليهشي، ص ١١٠، نادي الطائف الأدبي، ص ٢٦ .

٥ـ العربي، أغسطس ١٩٩٧م، ويورد محمد الرميحيّ في حديثه الشهريّ معلومات في غاية الأهميّة عن هذه المسابقة، فلقد وصل إلى المجلة أكثر من ٣٥٠٠ قصّة ما بين القصيرة والرواية! وهو أمرٌ يدعو إلى دراسة ظاهرة شيوع القصّة القصيرة في المجتمع العربيّ. وفي الوقت الذي كان لهذه المسابقة أن تحقّق أهدافها الأدبيّة من خلال تقديمها دماءً جديدة في مختلف الفنون الأدبيّة ـ القصّة القصيرة على وجه خاصّ ـ فإنّ أغرب ما صادفته تلك المسابقة ـ يذكر الرميحيّ ـ ".. هو ذلك الذي أرسل للمسابقة مجموعة من القصص، واحدة باسمه والباقية بأسماء أولاده، كأنّه يتوقّع أنّ الفوز سيتمّ بسحب القرعة، تخلط القصص كلّها ونسحب أيّ واحدة منها بطريقة عشوائيّة"!! إلا أنّ الذي دعا ذلك المواطن العربيّ إلى ذلك الأمر ـ فيما أرى ـ هو شيوع ظاهرة الجوائز والمسابقات في المجتمع الاستهلاكيّ، بدءاً من شاشات التليفزيون، ومروراً بمراكز التسويق، وانتهاءً بالصحف والمجلاّت!

٦ـ محمود قاسم، شهرة بلا جوائز (الهلال، نوفمبر ١٩٨٧م) ، ص ٤٦.

٧ـ ملحق الأربعاء، ١٩٩٤/٤/٢٧م .

٨ـ الفيصل، ع ١٩، ديسمبر ١٩٧٨ م .

٩ـ ملحق الأربعاء، ١٩٩٧/٦/١١م.

١٠ـ عباس محمود العقاد، يوميّات (دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م)، ١٩٧/٢.

١١ـ جريدة عكاظ، من لقاء مع سموّ الأمير خالد الفيصل، ٢٥ فبراير ١٩٨٤م، وعباس محمود العقاد، يوميّات، ١٩٧/٢ .

١٢ـ عباس محمود العقّاد، يوميات، ١٩٧/٢ .

١٣ـ محمود فوزي، يوسف إدريس على فوهة بركان (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص ٤٦.

١٤ـ انتقل إلى رحمة الله في عام ١٩٩١م.

١٥ـ يختلف الوضع في جوائز الوطن العربيّ التي لم تسهم، كثيراً، في ترويج الكتاب، ولذلك أصبحت قيمة الجائزة مطلباً أساسيّاً للمبدعين، وهذا ما دعا إلى اعتراض العديد من المثقفين المصريّين ـ على سبيل المثال ـ على القيمة الماديّة المتواضعة لجوائز الدولة التقديريّة والتشجيعيّة في مصر. ينظر في ذلك: أحمد عبد المعطي حجازي، القيمة الماديّة مهمّة، والقيمة المعنويّة أهمّ، (مجلّة إبداع، يوليو ١٩٩٤م)، ص ٤.

١٦ـ محمود قاسم، موسم الجوائز الأدبيّة .. الكعك بعد العيد، (الهلال، يونيو ١٩٩٠م)، ص ٧٦.

١٧ـ محمود قاسم، (مجلّة القاهرة، نوفمبر ١٩٩٥م)، ص ٢١٨ .

١٨ـ رجاء النقاش، ص ٤١، وينظر، كذلك، غالي شكري، أقنعة الإرهاب (دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م)، ص ٢٤٦.

١٩ـ الآداب، ع ١١، نوفمبر ١٩٦١م، وعبد الله عبد الدائم، رسالة باريس ـ تقرير ـ (الثقافة العالميّة، يناير ١٩٩٠م)، ص ١٥٢، ومحسن محمد، ص ٦٥.

٢٠ـ رياض الفاخوري، أيّام وازدهار الرواية العالميّة بين مطرقة الجوائز الكاذبة وسندان الشهرة الأعمى، الجزيرة، ١٠/٧/١٩٩٧م.

٢١ـ مثل جائزة الرواية الإسبانيّة التي تمنحها دار نشر (بلانيتا)، وقيمتها نحو نصف مليون دولار إمريكيّ! محمد أبو العطا، زمن الرواية الإسبانيّة، (فصول، شتاء ١٩٩٣م)، ص ٩٤، هامش رقم ٨ .

٢٢ـ حيث يبدأ ما تسميه مجلّة الآداب بـ "مرض الطباعة"، في أشهر معيّنة استعداداً لحمّى الجوائز، فقد أصدرت دار غاليمار في شهر أغسطس من عام

١٩٦٠م ـ تقول الآداب ـ: ".. خمساً وعشرين رواية، وأصدرت دار جوليار ثماني عشر .."! ع ١١، نوفمبر ١٩٦١م.

٢٣ـ يضمن الروائيّ الفائز بجائزة الغونكور الفرنسيّة تحقيق أرقام فلكيّة من روايته، إذ يقفز الرقم من عدّة آلاف قبل الجائزة، إلى ما يقرب من نصف المليون نسخة، بعدها! محسن محمد، ص ٦٧، وتحقّق جائزة الانترياليه نحو خمسين ألف نسخة، وجائزة رينودو نحو ثمانين ألف نسخة، وجائزة فمينا نحو مئتي ألف نسخة! (الآداب، ع ١١، نوفمبر ١٩٦١ م)، وكذلك قضايا الساعة، صناعة الكتاب بين الأمس واليوم، ص ٨٥.

٢٤ـ هذا ما حدث بالنسبة إلى الروائيّة سيمون دي بوفوار التي استطاعت ـ بعد فوزها بالغونكور ـ أن تحسّن، كثيراً، من وضعها الاقتصاديّ، بعد فقرٍ وعوَز! محسن محمد، ص ٦٧.

٢٥ـ عباس محمود العقاد، يوميّات، ١٩٧/٢، ١٩٨.

٢٦ـ محسن محمد، ص ٧٠، والآداب العدد السابق.

٢٧ـ من دلائل ذلك، تلك الحشود الغفيرة التي ملأت أروقة نادي جدة الأدبيّ عشيّة حفل تسليم جائزة الإبداع للشاعر محمّد الثبيتيّ ـ قبل عدّة سنوات ـ والتي نجحت في إفشال ذلك الحفل وإلغائه!

نوبل.. بارانويا عربية مزمنة!

تكمن فاعليّة الجائزة ودورها الاجتماعيّ في أنّها مثيرة للجدل، ويبدو أنّها تفقد وهجها وأهمّيّتها إن لم تجذّر لذاتها من خلال الاختلاف حولها، والمساجلة دونها، وكأنّ الجائزة ـ وقد انتقلت من الفرديّة إلى المؤسّسيّة ـ تؤسّس الاختلاف، حتّى وإن طالها. الجائزة ـ بهذا المعنى ـ خلاصة الواقع نفسه، إنّها المذبحة الأبديّة التي يختصم حولها المتحزّبون، إنّها قابلة لكلّ القراءات، ومتقبّلة لكلّ الدلالات والإسقاطات السياسيّة والدينيّة والإيديولوجيّة، أو هي الميدان الجديد الذي يمارس فيه المتناحرون قتالهم الرمزيّ على كلّ الجبهات، إنّها نصٌّ قابل للتأويل على أيّ وجه من الوجوه التي نريد، جدرانها تقبل كلّ أشكال المتناقضات، وفي وقت واحد: رايات المجد والشهرة والنّبوغ والعبقريّة، إلى جانب شعارات المروق والخيانة وعدم الوطنيّة بل والعمالة!! ينام نجيب محفوظ وفي حِضنه جائزته يحلم بفرق العملة ما بين الدولار والجنيه المصريّ، ويسهر الوطن العربيّ من أقصاه إلى أقصاه ـ إلى يومنا هذا ـ في محاكمة

هذه الجائزة التي كان قبل حين من الدهر يتباكى لعدم حصول أديب عربيّ عليها! [1].

إنّ انتماء الجائزة إلى مؤسّسة لم يخلّصْها من الأدلجة، لاتصبح المسألة، هنا، أحقّيّة الأديب الفائز بالجائزة من عدمها، ولكن تصبح متعلّقةً بمحاكمة رمزيّة له وللجائزة وللمؤسّسة التي تنتمي إليها، لأنّ الجائزة أنموذجٌ لعقل المؤسّسة وتوجّهها، واختيارها ـ يكون ـ قطعةً من عقلها، ذلك العقل المؤسّسيّ الذي يفرض ذوقه وفلسفته على المجتمع الثقافيّ، بل وعلى مقدّرات الشعوب التي تحلم بأن تغازلها الجائزة ـ ونوبل على وجه خاصّ ـ إذ قلّما يمرّ إعلانها دون أن يُحدثَ جدلاً ثقافيّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً، من أقصى العالم إلى أقصاه، وهذا ما يعني أنّ العالم كلّه ـ برغم كلّ ما يقال عن نوبل ـ قد ارتضى بها جائزةً للأمم المتّحدة، على غرار رضاه بمنظمة الأمم المتّحدة، حتّى وإن لم تستهوِ الشعوب المغلوبة على أمرها قراراتها! إذ طالما تنبثق أسئلةٌ محيِّرة ومؤلمة تتعلّق بتجاوز نوبل أدباء كباراً كتولستوي وجيمس جويس وغوركي وكافكا وبورخيس.. إلخ [2]، وتخييب ظنّ ملايين القراء عندما تمنح لأديب غير مكتمل الموهبة، لا يستحق عمله الفائز إضاعة وقت القرّاء الثمين! أو تلك الأسئلة المرحليّة التي تتعلّق بتركيز الجائزة ـ في معظم أسمائها ـ على الشقّ الشماليّ من الكرة الأرضيّة، متجاهلةً الأمم الأخرى في آسيا وأفريقيا؛ أو السؤال عن ذكوريّة هذه الجائزة وموقفها من المبدعات

النساء؟![٣] لا في مجال الأدب ـ وحسب ـ ولكن يتعداه السؤال عن ذكوريّة نوبل في مجال العلوم، ما جعل من سؤال: هل للعلم جنسٌ؟ حاضراً، وبقوة، في معرض الحديث عن ذكوريّة الجائزة مقابل أنوثتها! [٤] أو ذلك الولع العجيب بمنح الجائزة للعديد من الأدباء اليهود؟ أو سؤال العرب الأبديّ ـ إلى ما قبل العام ١٩٨٨م ـ عن تجاهل الأكاديميّة السويديّة للمبدعين العرب رغم استحقاق الكثيرين منهم لها؟! [٥] وتتعدّد الإجابات عن تلك الأسئلة ـ وغيرها ـ وكأنّ همّها الأساسيّ هو البحث عن منطق تلك الجائزة، والآليّات التي تتحرك من خلالها، منذ إعلان جائزتها الأولى عام ١٩٠١م التي تجاهلت تولستوي ومُنِحت لرينيه سلي[٦].

جغرافية جائزة نوبل إلى العام ١٩٩٨م

الدولة	عدد المرات
فرنسا	١٣
الولايات المتحدة الأمريكية	٩
ألمانيا	٨
بريطانيا	٧
إيطاليا	٧
أسبانيا	٥
السويد	٥
روسيا	٥
إيرلندا	٤
النرويج	٣
الدنمارك	٣
شيلي	٢
اليابان	٢
اليونان	٢
الهند	١
ترينيداد	١
جنوب إفريقيا	١
نيجيريا	١
مصر	١
إسرائيل	١
بلجيكا	١
أستراليا	١
يوغوسلافيا	١
فنلندا	١
أيسلندا	١
البرتغال	١

(٧)

لقد وُلِدت تلك الجائزة في ظلّ أوضاع سياسيّة واستراتيجيّة قلقة على مستوى العالم بكامله، الخروج من تركة القرن التاسع عشر والدخول إلى قرن جديد ـ حينها ـ هو القرن العشرون، في ظلّ انهيار إمبراطوريّات ضخمة، ونشوء فلسفات وإيديولوجيّات حزبيّة متناحرة، قسّمت العالم إلى تكتّلات متقاتلة، ومعسكرات متخاصمة، هذا إلى نشوب الحرب العالميّة الأولى في السنوات الأولى من القرن العشرين، ما يعني أنّ على الأكاديميّة السويديّة مراعاة تلك الأوضاع، ومحاولة إحداث توازنٍ في عمليّة المنح، التي تضع نصب عينيها ما يمكن أن تُحدثَه عمليّة المنح من جدل سياسيّ واجتماعيّ بين الحكومات المتناحرة، أو الدول المتحاربة، وهو ما قد يسيء إلى علاقة الدولّة ـ مقرّ الجائزة وهي السويد ـ مع الدول الأخرى، التي تربطها بها علاقات سياسيّة واقتصاديّة وتجاريّة. (٨)

لقد وَجدت نوبل نفسها وسط ذلك التيّار السياسيّ والعسكريّ الجارف، وكان لزاماً عليها أن تعي موقفها وسط ذلك الخضمّ المتلاطم، وهذا ما يعني أنّها أصبحت جائزةً سياسيّة بـ (القوّة) لا بـ (الفعل)، ويبدو، من هنا، أنّ هذه الجائزة تعدّ قارئةً جيِّدة لخارطة النزاعات الدوليّة والإقليميّة التي تجعل من قاعدة المنح أو الحجب مرتبطة بخطوط بيانيّة ترتفع وتنخفض بحسب ارتفاع درجة حرارة تلك النِّزاعات أو انخفاضها، بدءاً من منح الجائزة في سنتها الأولى لرينيه سلي لا لتولستوي الذي كانت آراؤه الاجتماعيّة "..التي

ينادي بها بتقويض معالم الحضارة وإنكار الحكومة بأنواعها، وإسقاط حقّ الحكومات في معاقبة الجناة، وحقّ السّاسة والقادة في تعليم النّاس على أسس الثقافة العصريّة، لأنّها في ـ رأيه ـ قشورٌ لاتنتهي إلى لباب.. "[٩]. تتناقض مع فلسفة نوبل الداعية إلى السلام والمثاليّة، ووصولاً إلى منحها ـ ولأوّل مرّة ـ لأديب عربيّ (نجيب محفوظ) عام ١٩٨٨م! ولذلك كان لاغرابة أن تحتجب الجائزة عدّة مرّات نتيجة الحروب العالميّة والأزمات الدوليّة [١٠]، التزاماً بحيادها، وتمشّياً مع منطق مؤسّسها (ألفرد نوبل) الذي يدعو بأن تمنح جائزته في الآداب ".. للشخص الذي ينتج أبرز عمل في مجال الأدب يتّجه إلى المثاليّة .."، وربّما هذا ما دعا المعسكر الشرقيّ، ممثّلاً بالاتحاد السوفيتيّ السّابق، النّظر إلى هذه الجائزة بوصفها تجسيداً للمعسكر الغربيّ الرأسماليّ! فكان رفضه أن يتسلّم الأديب الروسيّ بوريس باسترناك جائزة نوبل عام ١٩٥٨م!![١١].

لا شكّ أنّ جائزة نوبل صناعة غربيّة، مثل بقيّة الصناعات ذات الهيمنة الغربيّة التي تبدأ بالسيطرة على الاقتصاد العالميّ، وتنتهي بإمبراطوريّة الإعلان، وشركات التبغ والسينما والكوكا كولا ذات الرساميل الفلكيّة الخياليّة! ما يجعل من النموذج الغربيّ ـ والأمْركة على وجهٍ خاصّ ـ طابعاً جديداً للمجتمعات المعاصرة التي يطوّقها هذا النموذج من كلّ مكان، وكأنّها لا تستطيع منه فكاكاً. وتصبح نوبل محجّ أنظار العالَم بأسره، إنّها أمم متّحِدة جديدة، ترغب كلّ

دول العالم أن يكون لها أعضاء دائمون في مجلسها! ولكنَّها تأبى ذلك، وتطيِّب خاطر دول العالَم الثالث بأن يكون من بين أبنائها أعضاء زائرون ما بين حين وآخر، وكأنَّ المسألة غدت، في عرف العالم غير الغربيّ، أقرب ما تكون إلى ثنائيَّة المركز والهامش، الغرب المتقدِّم والشرق المتخلِّف، هذه الثنائيَّة التي غدت سمةً عالميَّة، هي أيضاً، تجاوزت الغرب، لتصبح من ضمن أدبيَّات الثقافة العربيّة المعاصرة التي تمارس الدور ذاته على بعضها، في الوقت الذي تجأر فيه بأعلى صوتها من تهميش نوبل للأمَّة العربيّة والثقافة العربيّة!

ومنذُ عقودٍ عدَّة أصبحت جائزة نوبل في الآداب أحد مطالب العرب العادلة والشرعيّة، إلى جوار قضايانا الأبديّة التي يأتي على رأسها قضيَّة الأراضي المحتلة! كلّما مات منَّا سيِّدٌ تلقَّف الراية بعده سيِّدٌ آخر، دون أن نيأس أو نشعر بمرارة الهزيمة، أو ابتسامة الأكاديميّة السويديَّة من اختلاف الأسماء العربيّة ووحدة السِّحن السمراء!: (جبران خليل جبران، طه حسين، العقَّاد، توفيق الحكيم، رشدي فكَّار، محمّد عزيز الحبابيّ، نجيب محفوظ، يوسف إدريس، أدونيس، محمود درويش، عزّ الدين المناصرة، سعد الله ونّوس.. إلخ)!! أو حتَّى مناداة أديبنا محمَّد منصور الشقحاء بترشيح كلّ من محمَّد حسن فقي وحسن عبد الله القرشيّ وغازي القصيبيّ لها![١٢] ومن ثمّ تجد الشعارات العربيّة المعتادة طريقها إلى

صحفنا ومنتدياتنا، تلك الشعارات التي تبدأ بسيطرة الصهيونيّة العالميّة على مقدّرات الأكاديميّة السويديّة، ومروراً بالحقد الصليبيّ الذي ما زال يطوف بخيال الغرب الاستعماريّ كلّما جاء ذكر العرب والمسلمين، إلى آخر تلك البكائيّات النوبليّة والغونكوريّة والأوسكاريّة![١٣]

وقصّة العرب مع نوبل تشكّل مناخاً رائعاً للبحث السيكولوجيّ، الذي من همّه الكشف عن الأعماق غير الواعيّة التي تهيمن على العقل العربيّ تجاه الآخر الغربيّ - بما فيه جائزة نوبل للآداب - من خلال مدّة زمنيّة تُحَدَّد بما قبل ١٩٨٨م وما بعدها، عبر تلك الحشود اللغويّة/الخَطابيّة التي تزخر بالعديد من السِّمات الأسلوبيّة والبلاغيّة المشبعة بمضامين إيديولوجيّة ونفسيّة متأزّمة، إنّها (بارانويا) عربيّة مزمنة! تعكس موقف الثقافة العربيّة المعاصرة من هذه الجائزة منذ عقود مضت، وهو خطاب محمَّلٌ بالعقليّة التآمريّة التي ينسجها الغرب الإمبرياليّ! ضدّ الشعوب العربيّة في نضالها المستميت من أجل الحصول على حقوقها المشروعة التي يتساوى في لا وعيها - الأراضي العربيّة المحتلّة ونوبل، وفي وقت واحد! أو عبر تلك الأوضاع الكاريكاتوريّة التي عادةً ما ترافق مواسم الجوائز العالميّة، ونوبل على رأسها، والتي تعكس تكالب المبدعين العرب على عدوّهم الذي يمارسون شتمه ولعنه في العلن، ويمارسون التودّد إليه ومغازلة ذويه في الخفاء،

مثل إعلان التطبيع والموقف السلميّ من إسرائيل كمافي حالة توفيق الحكيم وحسين فوزي، أو عبر ذلك الولع العجيب بأن يسرد الأديب العربيّ ما تُرجم من كتبه إلى اللغات الأجنبيّة الحيّة ـ ومن ضمنها السويديّة بالطبع ـ كما حدث بالنسبة إلى العديد من المبدعين العرب وعلى رأسهم توفيق الحكيم،(١٤) أو العروض المسرحيّة العربيّة المترجمة إلى السويديّة، كما في حالة يوسف إدريس ومسرحيّته الفرافير (١٥)، إلى آخر تلك النُّكت والطرائف المصاحبة لموسم إعلان جائزة نوبل، التي عدّد جهاد فاضل طرفاً من ممارسة الأدباء العرب الكبار لها ـ مبالغةً في تكثيف الجانب الكاريكاتوريّ ـ إذ ".. يملك بعض الأدباء العرب لائحةً كاملةً بعناوين أعضاء جائزة نوبل سواء في مكاتبهم أو في منازلهم، ويتتبعون ما يمكن أن يطرأ على هذه اللائحة من تعديلات أثناء السّنة .."(١٦) بل يصل الأمر إلى أن يعيش بعض الأدباء العرب ـ كما يقول رجاء النقّاش:

"في أوروبا سنوات متصلة ويسعى إلى ترجمة أعماله إلى اللغات الأجنبية ويوثّق علاقاته بأدباء الغرب، لعلّ ذلك كله أن يكون من العوامل المساعدة على نيل الجائزة، بل وقد يذهب بعض الأدباء العرب إلى السويد، موطن الجائزة، واتصلوا بالأوساط الأدبية...آملين أن يكون في ذلك ما يلفت إليهم الأنظار فيحصلوا على هذه الجائزة العالمية"!! (١٧).

ويأتي إعلان الجائزة للعام ١٩٨٨م ليلغي شعارات العرب المعتادة ضدّ نوبل، وتصبح الكرة في ملعب الثقافة العربيّة، التي كانت مستعدّة إلى ما قبل إعلان الجائزة بدقائق معدودة ـ فيما يبدو ـ لتبدأ عجلة المطابع في سرد ما تبقّى من الحقد الصليبيّ تجاهنا، وهيمنة اللوبي الصهيوني على مقاليد الأمر.. إلخ، ليتغيّر الخطاب العربيّ ـ المثقل بالعقد والإحباطات النفسيّة ـ وبقدرة قادر ـ إلى النقيض، حيث تبدأ الذات العربيّة ممارسة خطاب التضخُّم الذي ما كان له أن يتحقّق لولا ما أحدثته نوبل فينا، حينما منحتنا صكّ الاعتراف بوجودنا، لا الأدبيّ، ولكن الحقيقيّ، فالأدب العربيّ، وقد أصبح كأس نوبل في حضن نجيب محفوظ، ليس في حاجة إلى أن ينال الاعتراف به من خلال أولئك الأعاجم! فـ "..كاتبنا العظيم نجيب محفوظ ليس في حاجة إلى اعترافكم، رواياته تدرس في جامعة القاهرة منذ الخمسينيّات، نقّادنا عرفوا قدره ورافقوه في مسيرته الطويلة. وأنتم ماذا قرأتم لنجيب محفوظ؟ رواية أو روايتين، أو ربّما أقاصيص.."! [١٨] و".. لايصحّ في النّهاية إلا الصحيح مهمّا اعوجّت الأمور. وخابت الأحوال وفسدت الذمم.."![١٩] وأدبنا القصصيّ ليس".. بحاجة إلى فرمان غربيّ يشهد بجدارته كأدب من الآداب العالميّة.."![٢٠] و".. نجيب محفوظ ومؤلّفاته أكبر من كلّ جوائز الدّنيا، وإنّ نجيب محفوظ أعاد الكبرياء للثقافة العربيّة .."![٢١]، بل كأنّ نوبل كانت تنتظر عريسها العربيّ نجيب محفوظ، بفارغ الصّبر، لكي يسهم اسمه ".."

في رفع قيمة الجائزة"!![٢٢] حتى اختلفت معادلة الجائزة، فـ "..نوبل قد فاز بجائزة نجيب محفوظ.."! وذلك لأن نجيب محفوظ "..قد أعاد إلى الضمير الأدبي للعالم، أحد موازينه المفقودة"!![٢٣] وحتى غدت جائزة نوبل في أمسّ الحاجة إلى نجيب محفوظ ".. حتى تعترف لنفسها بالإنسانية"![٢٤] فهذه الجائزة العجوز كانت ".. في السنوات الأخيرة قد بدأت تفقد هيبتها أمام العالَم حين وصلت إلى أسماء أقلّ ما توصف به أنّها لاتستحق جائزة محليّة"! [٢٥] إلى آخر تلك البلاغيّات العربيّة التي تظهرنا، وكأنّ نوبل لا تعنينا، من قريب أو من بعيد، على الرغم من أنّنا أدمنّا البكاء عليها عقوداً طويلة، ووقفنا على أطلالها حتّى ألهبت الشمس المحرقة هاماتنا، وتجاهلنا (نوبل) التي طالما بكينا عليها، ونسينا أنها كانت ـ عام ١٩٨٨م ـ برداً وسلاماً على قلوبنا المحترقة! وحينما افترعها الفارس العربي (نجيب محفوظ) مججنا طعمها، وذهبت حلاوتها من ألسنتنا، فأنكرناها، في الوقت الذي يمكن وصف الحدث (النوبليّ) بالنسبة إلى الثقافة العربيّة المعاصرة ـ كما يذكر رجاء النقّاش ـ بأنّه و"بغير جدال أهمّ حدث ثقافيّ عربي في القرن العشرين"! [٢٦] ولكنّه العقل العربيّ الذي يعد صورةً رائعة للمتناقضات!

هوامش الفصل الخامس

١ـ لاتزال التُّهم الجاهزة كالعلمانيّة والعمالة والعداء للدين عالقة في أذهاننا، جراء حصول نجيب محفوظ على نوبل ١٩٨٨م، ومنها تلك الأرتال البحثيّة المتعدِّدة التي لامست هذ المسألة ـ وبدرجات مختلفة من التهم ـ كمؤلّفات عبد الحميد كشك، والمطعنيّ، ومحمّد يحيى ومعتزّ شكري.. إلخ، أو حتّى وصف يوسف إدريس للجائزة ـ التي كان يحلم بها ـ بأنّها جائزة كامب ديفيد الثقافيّةامحمد فوزي، ص ٨.

٢ـ فيما يتعلّق بجائزة الملك فيصل العالميّة للأدب العربيّ تساءل محمّد رضا نصر الله عن إهمال الجائزة للبحّاثة علي جواد الطّاهر، في الوقت الذي احتفت به جائزة العويس، مع أنّه ـ يقول نصر الله ـ: " كان من المؤمّل أن نحيطه قبل غيرنا ببعض عنايتنا بمن لا يستحقّ العناية!! فمن كان أجدر بتقدير جائزة الملك فيصل العالميّة الدكتور علي جواد الطّاهر، أم الدكتور أبو الأنوار من حيث الإنجاز العلميّ والمستوى المعرفيّ؟!"! جريدة الرياض، ١٢ نوفمبر ١٩٩٦م.

٣ـ علي شلش، علامات استفهام في النقد الأدبيّ،(النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ٢٦١.

٤ـ اجريد كارلندر، علوم لا نسوية: هل للعلوم ميول جنسية خاصة؟ لوموند (الطبعة العربية)، أغسطس ١٩٩٧م. ص ص ٢٨، ٢٩.

٥ـ مقدّمة الترجمة العربيّة لكتاب (مؤسّسة نوبل).

٦ـ عباس محمود العقاد، شاعر أندلسيّ وجائزة عالميّة، ص ٥٤.

٧ـ الشرق الأوسط، ٩/ ١٠/١٩٩٨م.

٨ـ عباس محمود العقاد، شاعر أندلسي وجائزة عالمية، ص ٦٣.

٩ـ عباس محمود العقاد، شاعر أندلسي وجائزة عالمية، ص ٥٤.

١٠ـ عباس محمود العقاد، شاعر أندلسي وجائزة عالمية، ص ٤٢.

١١ـ ألفرد فرج، أين تقع نوبل المصريّة الثّانية؟(الهلال، يوليو ١٩٩٥م)، ص ٣٢.

١٢ـ جريدة المدينة، ١٤١٦/٦/١٨ هـ.

١٣ـ كالصليبيّة الغربيّة ضدّ الأمّة العربيّة التي حالت دون فوز طه حسين بنوبل! لجنة نوبل، مقدّمة الترجمة العربيّة.

١٤ـ شكري عياد، نحن والغرب (كتاب الهلال، القاهرة، ١٩٩٤م)، ص ١٤٥، ويذكر أحمد عبد السلام البقاليّ ـ في عبارة لا تخلو من الكاريكاتورية ـ أنّ بعض الأدباء العرب أنفق ".. الأموال، وكوّنوا اللجان من الحواريّين للدفاع عن حقّهم في الجائزة. وكتب بعضهم كتبه ودواوينه بالفرنسيّة رأساً، أو بلغة عربيّة تسهل على المترجم، وبعثوا بملخّصات أعمالهم إلى لجنة الجائزة العتيدة، حيث وُضعت في رفوف الأقبية الرطبة في انتظار الحشر! " جلباب الطاهر بن جلّون ومرقّعات أدونيس، (المجلّة العربيّة، صفر ١٤١٥هـ).

١٥ـ يقول رجاء النقاش ليوسف إدريس: "نحن نعلم أنك كنتَ مرشحاً لجائزة نوبل، وأنك سعيتَ إلى هذا الأمر وبذلتَ في ذلك جهوداً خارقة، وسافرتَ إلى السويد واتصلتَ بالدوائر المؤثّرة على لجنة جائزة نوبل، وقدّمتَ أعمالك إلى لجنة الجائزة.."! ص ٤٣.

١٦ـ القبس الكويتيّة، ١٩٨٧/٥/٣م، ويذكر الكاتب الصحفيّ محمود فوزي أنّ بعض الكتّاب العرب ".. سافر منذ سنوات إلى ستكهولم وعرض إنتاجه المترجَم على بعض أعضاء اللجنة .."، اعترافات نجيب محفوظ (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩١م)، ص ٢٩.

١٧ـ رجاء النقاش، ص ٣١ .

١٨ـ شكري عياد، درس من الجائزة،(الهلال، نوفمبر ١٩٨٨م)، ص ٨٧ .

١٩ـ يوسف القعيد، نوبل نجيب محفوظ، قيراط بخت أم فدّان شطارة؟(الهلال، نوفمبر، ١٩٨٨م)، ص ٩١.

٢٠ـ سليمان فيّاض، تتويج للأدب العربيّ، (الهلال، نوفمبر، ١٩٨٨م)، ص ١٢٨.

٢١ـ حسن محسب، (الهلال، نوفمبر، ١٩٨٨م)، ص ١٦٨.

٢٢ـ محمود قاسم، موسوعة جائزة نوبل، ص ٣٤١.

٢٣ـ غالي شكري، نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل (دار الفارابي، بيروت، ١٩٩١م)، ص ٢٣.

٢٤ـ غالي شكري، نجيب محفوظ...، ص ٢٠.

٢٥ـ غالي شكري، نجيب محفوظ...، ص ١٤.

٢٦ـ رجاء النقاش، ص ٣٤.

المقدَّس والمدنَّس

وتقوم الجائزة ـ أيّاً كانت ـ بدور آليّة رمزيّة، إذ تتجاوز حيازتها مستوى التكريم والاعتراف بالعبقريّة الأدبيّة، لتصبح أقرب ما تكون إلى طقس تعميد بدائيّ يمثّل (الانتماء) إلى فكر المانح ومعتقداته (= حكومة ـ مؤسّسة ـ أمّة ـ أفراداً..)، أو كأنّها على مستوًى آخر بمنزلة (الطُعْم) الذي يستدرج الفريسة (= الأديب، هنا!) لكي يقع في حبائل (الصيّاد) الذي أغرى الفريسة بقطعة الذهب الملتمعة! الجائزة لا تعرف إلا ضميرين: الانتماء إلينا يعني (نحن)، والانتماء إلى الآخر يعني (هم)، ولذلك تغدو حيازة الجائزة خضوعاً لشروط الجماعة المانحة حتى ينتمي إلينا (نحن)، أو يخرج على شروطنا حينما يقبل جائزة الآخر وينتمي إليهم (هم)، فنوبل نجيب محفوظ، وغونكور الطّاهر بن جلّون ـ في عرف بعض التيّارات الفكريّة المتشدّدة ـ انسلاخٌ عن الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وقبول بشروط الآخر الغربيّ الإمبرياليّ، بل والصهيونيّ! ومكافأة له على تقويض قيمنا وثوابتنا من الداخل!! [1] وقبول إميل حبيبي

بالجائزة الأدبيّة الإسرائيليّة مصيدةٌ خبيثة، وفخٌّ ".. من هذه الفخاخ التي تنصب في صورة "جائزة" أو "دكتوراه فخريّة "... تصدَّر إلينا لتحوّل ساحتنا الثقافيّة إلى معارك "كلاميّة" و"خصاميّة" و"جانبيّة" جداً"[٢]، واعتراف رمزيٌّ منه بذلك الكيان المغتصب، ومنح جائزة الملك فيصل العالميّة في خدمة الإسلام للمفكّر الفرنسيّ المسلم الأشهر روجيه غارودي (١٩٨٦م)، يعني نزوله عند شروطنا الاجتماعيّة والعقائديّة، وقبوله الرمزيّ بالانضمام إلى جماعتنا (نحن)، ولذلك فإنّ عدم التزامه بشروطنا التي كانت الجائزة الممنوحة له بمنزلة العتبة الفاصلة بين زمانين وكونين وهويّتين، يعني إلغاء صكّ دخوله إلى عالمنا، وانتفاء شروط المنح، أي العضويّة الرمزيّة إلينا، ما أدّى، في وقت لاحق، إلى المناداة بإخراجه من الـ (نحن)، ومن ثمّ مطالبة (بعضهم) بسحب الجائزة منه، بزعم أنّه لاينتمي إلى جماعتنا!![٣].

إنّ رمزيّة الجائزة، كما أرى، تأتي وكأنّها معادلٌ رمزيٌّ للمكان المقدّس والمكان المدنّس، فمنها ما يجلب الطهر والبركة لمن حلّ ضيفاً عليها، ومنها ما يجلب الدنّس ويوجب التطهُّر، حتّى ولو كان تطهُّراً متأخّراً، كما حدث بالنسبة إلى العديد من المثقّفين العرب الذين طالبوا - إثر الغزو العراقيّ الآثم لدولة الكويت - بضرورة التخلُّص من جوائز صدّام حسين الأدبيّة، والتبرؤ منها، دليلاً على عدم الانتماء - عبر جائزته - إلى نظامه الغاشم![٤] إنّ هذه السِّجالات المرتبطة بالجائزة - أيّاً كانت - تبيّن من طرف خفيّ أنّ قبول الجائزة

يعني نزول (المادح) عند شروط (المانح)، حتّى وإن اختلفت الجهة المانحة من الفرد إلى المؤسّسة، وقبوله لتلك الشروط. وهي ثنائيّة يبدو أنّها ما زالت مستمرّةً، وإن أخذت بعداً جديداً يكمن في تلك العلاقة الشائكة ما بين المثقّف والسّلطة وذلك الارتباط الأبديّ بينهما، وخاصّةً في المجتمعات الحديثة التي تتحدّد العلاقة فيها عبر مؤسّسات المجتمع المدنيّ المنضوية ـ بشكل أو بآخر ـ تحت مظلّة الدولة المدنيّة الحديثة، ما يعني أنّ قبول المثقّف بجائزة ما تكريسٌ لنظامها، أو تسويغ لشرعيّتها، سواء أكان ذلك عن التزام إيديولوجيّ، أو شعارٍ سياسيّ سرعان ما يتبخّر أمام ضراوة حزم الدولارات! من ذلك أن أشهر الجوائز الأدبية تتمركز في منطقة الخليج بصورة ملحوظة، وكأنها شكل من أشكال الأدبيات الاجتماعية المصاحبة للثراء والوجاهة، حتى إنّ صورة الخليج (المموّل) في مجال الإنتاج السينمائي قد تكررت في مجال الثقافة والفكر ـ إلى حدّ ما ـ ومارس المثقف العربي الذي يهرول إلى هذه الجوائز الضخمة ثنائيته المعتادة (المركز/الهامش!)؛ المركز المثقف التنويري، والهامش الثريّ الرجعي!! كما وجدت الشعارات الإيديولوجية ـ كما في بعض النماذج ـ مجالاً رحباً لممارسة خطابها المشبع بالبلاغيّات المكرّرة: (شراء الذمم والضمائر ـ البترو/دولار ـ البترو/إسلام ـ إسلام الصحراء)، غير أن رائحة البترو/دولار سرعان ما تغيّر تلك الشعارات بمجرّد الإعلان عن اسم ذلك الأديب (الملتزم إيديولوجياً)!![٥] مع أنّ هناك ـ بطبيعة الحال ـ مواقف

فكرية وإيديولوجية لعدد من المثقّفين، في رفضهم للجوائز ـ عامّةً ـ لأنّهم يرون أنّ قبولهم لتلك الجوائز يأتي وكأنّه قبولٌ بهيمنة إيديولوجيّة بعينها، أو نظام مّا. [٦] وهذا ما يفتح الجوائز ـ مباشرةً ـ على هيمنة الأنظمة السياسيّة والإيديولوجيّة، يميناً ويساراً، وتصبح الجائزة، عندها، أقرب ما تكون إلى التكتّلات الإيديولوجيّة، والأحزاب السياسيّة التي تشترط التجانس الفكريّ بين أعضائها، كما أنّها ترى إلى الثقافة من منظور إعلاميّ/إعلانيّ، همّه جلب المزيد من المؤيّدين من خارج النسق الفكريّ لذلك التكتُّل، حيث يسبغ حصول الكاتب (النّجم) على الجائزة المسيِّسة مباركةً للنظام السياسيّ التابعة له، ويعني عدم قبوله للجائزة، رفضه للنّظام ذاته! [٧].

هوامش الفصل السادس

١- يقول أحمد عبد السلام البقاليّ عن فوز الطاهر بن جلّون بالغونكور: ".. وإذا نظرنا إلى الموضوع بتجرّد، فلا بدّ أن نلحظ براعة الطّاهر بن جلّون في اختيار موادّ طبخته التي أسالت لعاب عجزة الغونكور، ودغدغت أهواءهم. فأيّ صليبيّ يستطيع مقاومة تمريغ أمّة الإسلام في الأوحال، وتسليط الأضواء على مواطن التخلّف فيها، خصوصاً إذا كان ذلك بأسلوب فرنسيّ شاعريّ رفيع كأسلوب الطّاهر بن جلّون؟!"!! (المجلّة العربيّة، صفر ١٤١٥هـ).

٢- زيد بن عبد المحسن الحسين، (مجلّة الفيصل، ع ١٨٥، ١٤١٢هـ)، ص ٣ .

٣- نتيجة الحوار الشهير الذي أدلى به لمجلة المجلّة في العام ١٩٩٦م، والذي أدّى إلى ثورة العديد من العلماء والمفكّرين الإسلاميّين عليه، بل وتكفيره واتّهامه بالردّة!

٤- محمد فوزي، يوسف إدريس على فوهة بركان، ص ١٠٣.

٥- يروي عبد العظيم أنيس في هذا السّياق حادثةً طريفة لأحد أصدقائه من الروائيّين العرب، حيث صرّح ذلك الروائيّ لإحدى الصحف المصريّة برفضه لجوائز أثرياء الخليج لأنّها تشتري ضمائر الأدباء،".. وأنّه من العار على الأديب العربيّ أن يقبل مثل هذه الجوائز .."، وقبل صدور المجلّة بيوم عرف أنيس أنّ صديقه الروائيّ العربيّ فاز بجائزة سلطان العويس ومبلغ مئة ألف دولار!! وسرعان ما تنازل عن حملته العنتريّة وقبل الجائزة، وهرول لكي يتسلّمها، تاركاً شعاراته الإيديولوجيّة (الملتزمة!!) تتبخّر في الهواء المؤدلج! حول الجوائز الأدبيّة: مفارقة لا تخلو من فكاهة (الهلال، إبريل ١٩٩٦م)، ص ٣٨. إنّ أمثال هذه المواقف (التقدُّميّة!!) تحتاج إلى دراسة سيكولوجيّة، لأنّها تتلخّص في التحديد الذكيّ لماهر شفيق فريد الذي ربطها بقوله ".. نرمقها بعين الحسرة والحرمان من ناحية... ونحن من ناحية أخرى نتظاهر بالزهد فيها... وإذا كنّا من أصحاب الإلتزام الإيديولوجيّ فليس بعيداً أن نندّد بوصمة كلّ ما هو بترو- دولاريّ.."!! جوائز الأدب العربيّة: وجهان للعملة (الهلال، مارس ١٩٩٦م)، ص ٧٦. ومن

الملاحظ على هذه الجوائز أنّها تحظى بأعداد ضخمة من المتقدّمين إليها، ومن مختلف التيّارات الأدبيّة والنّقديّة، بدءاً من الشعراء والنقّاد الكبار، وانتهاء بتلك الأسماء التي وجدت طريقها هيّناً ليّناً إلى أن ترشّح نفسها إلى هذه الجوائز الماليّة الضخمة، كما حدث بالنسبة إلى جائزة محمّد حسن فقي، التي تقدّم إليها - في موسم من مواسمها - تلك الأرتال العجيبة من الأسماء المعروفة وغير المعروفة، التي تطمح لا في القيمة المعنويّة للجائزة، ولكن في قيمتها الماديّة المرتفعة! ولقد صوّر عبده وازن في مقال له سلطان العويس بوضع أقرب ما يكون إلى الكاريكاتير، حيث يعيش ذلك الثريّ الخليجيّ في عالَم، والثقافة والفن والأدب في عالَم آخر! كما نقل النظرة المتألّمة لمثقّفي الإمارات نحو الأدباء العرب، وبخاصّة فيما يتعلّق بنظرة المثقّفين العرب إلى الخليج بوصفه مصدراً للمال فقط! الحياة ١٩/٣/١٩٩٢م.

٦- الروائيّ المصريّ بهاء طاهر - على سبيل المثال.

٧- كالروائيّ الياباني كنزا بورو أوبيه الحائز جائزة نوبل (١٩٩٤م) الذي رفض تسلُّم وسام الاستحقاق الثقافيّ الذي منحته إيّاه الحكومة اليابانيّة، لأنّ قبوله به يعني قبوله للنّظام القائم! جريدة الرّياض ١٦/١٠/١٩٩٤م، وكذلك موقف الكاتب الصحفيّ الكبير محمد حسنين هيكل الثابت من مسألة الأوسمة والنياشين والجوائز التي يعتذر عن عدم قبوله لها.

بورصة الجوائز !

والسؤال، الآن، هل استطاعت الجوائز الأدبيّة في الوطن العربي أن تكون كمثيلاتها في الغرب؟ بمعنى هل استطاعت أن تجذّر للإبداع الأدبيّ والثقافيّ والفكريّ في واقعنا؟ وهل استطاعت أن تصبح صناعةً اقتصاديّة كبرى ترفد الاقتصاد العربيّ ـ وطنيّاً وإقليميّاً ـ وهل يمكنها خلق قاعدة جماهيريّة عريضة من القرّاء، وتقليص بحار الأميّة، وتأسيس رأيٍ عربيٍّ مشاركٍ في صناعة القرار؟

الإجابة، باختصار، لا!

لقد كان للجوائز الغربية ـ كما ذكرتُ سالفاً ـ أن تسهم في دعم الاقتصاد الوطنيّ، حينما أصبحت إحدى الصناعات الاقتصاديّة الرائجة، والمربحة في وقت واحد، وتحوّل الكتاب، بسببها، إلى سلعةٍ استهلاكيّة، عبر هذه الوسيلة الإعلانيّة الذكيّة (= الجائزة)، التي ابتدعتها العديد من دور النشر الغربيّة، لترويج سلعها، من خلال وسائل الإعلام المختلفة (الإذاعة ـ التلفزيون ـ الصحافة ـ

السينما ـ الملصقات واللوحات الإعلانيّة ـ وأخيراً الإنترنت)[1]، وتحويل هذه الجوائز من خبر يهمّ النخبة المثقّفة، إلى توسيع قاعدتها الجماهيريّة ـ وعبر الإعلان كذلك، في صورة أقرب ما تكون إلى دوري كرة القدم أو الأولمبياد الرياضيّ، أو سباق الأغنيات! ما يعني ـ على المستوى التسويقيّ ـ رواج الكتاب (الرواية غالباً) في الأوساط العامّة ـ والشعبيّة على نحوٍ خاصّ ـ ومن ثمّ يصبح تصدير الثقافة مصدراً للعملة الصعبة التي تدعم الاقتصاد الوطنيّ، كما يحدث في فرنسا ومعظم دول أوربا ـ ففرنسا ـ وحدها ـ تُصْدِرُ في مطلع شهر سبتمبر، فقط، وهو بداية موسم الجوائز، نحو ٣٠٠ رواية! [2] في العام ١٩٩٧م، في حين أصدرت ما بين سبتمبر ومنتصف أكتوبر من العام ١٩٩٨م نحو ٥٤٥ نصاً أدبياً، ما بين رواية وقصة ومحاولة! [3] وكلّها ـ أو معظمها ـ تدخل رالي الجوائز المحليّة والإقليميّة والعالميّة، وهذا ما يسمح بارتفاع معدّلات الطباعة وحركة النشر للروايات الفائزة من آلاف عدّة، إلى مئات الآلاف، وقد تصل بعضها إلى عدّة ملايين من النسخ! [4] على الرغم من أنّ بعض تلك الجوائز ذات قيمة ماديّة مضحكة! لكنّها ـ إضافة إلى قيمتها الأدبيّة العالميّة ـ ذات مردود اقتصاديّ ضخم بالنسبة إلى الناشر، وكذلك بالنسبة إلى الكاتب الذي سيناله من الحظّ جانب! [5] وهو ما ينعكس على عجلة الطباعة التي تقوم في العديد من مناطق العالم ـ غير العربيّ ـ بإنتاج مئات الآلاف من الكتب، وهو ما يتضح في هذه الخطاطة:

بلغ الإنتاج العالمي للكتاب سنة ١٩٩٠م نحو ٨٣٥٠٠٠ عنوان، وصلت نسخها ما بين ١٨١٥ مليار نسخة، وجاء الترتيب القارّي لإنتاج الكتاب على النحو التالي:

أوربا	٤٥٤٠٠٠
آسيا	١٩٨٠٠٠
إمريكا الشمالية	١٠٥٠٠٠
إمريكا اللاتينية	٥١٠٠٠
إفريقيا	١٥٠٠٠
أستراليا	١٢٠٠٠ (٦)

في الوقت الذي لم يستطع الوطن العربيّ من المحيط إلى الخليج، بملايينه المئتين، أن يسهم إلا بـ ١٪، فقط، من الإنتاج العالمي للكتاب، أي نحو ٧٠٠٠ عنوان فقط!! موزّعةً على النحو التالي:

نحو ٢٥٪ كتب مدرسية!

نحو ٥٪ كتب أطفال!

والمتبقي نحو ٧٠٪ بما فيه الكتب الجامعية المقرّرة على الطلاب![٧]

وجاء الترتيب العشري لإنتاج الكتاب عالمياً ـ بحسب الدول ـ في الثمانينيات الميلادية ـ بحسب بعض الإحصاءات، على هذا النحو:

الاتحاد السوفيتي السابق	٩٥ر٠٠٠ عنوان
الولايات المتحدة الإمريكية	٨٥ر٠٠٠ عنوان
ألمانيا الغربية (سابقاً)	٦٢ر٠٠٠ عنوان
بريطانيا	٥٠ر٠٠٠ عنوان
اليابان	٤٥ر٠٠٠ عنوان
فرنسا	٣٧ر٠٠٠ عنوان
أسبانيا	٣٥ر٠٠٠ عنوان
الصين الشعبية	٣٢ر٠٠٠ عنوان
كوريا الجنوبية	٣٢ر٠٠٠ عنوان
كندا	٢٢ر٠٠٠ عنوان [٨]

وهذا ما يعني أنَّ هناك غياباً للعلاقة العضويَّة ما بين الجائزة الأدبيَّة وصناعة النَّشر في الوطن العربيِّ، بحيث لم تستطع الجائزة أن ترتبط بالجماهير الغفيرة، عن طريق جعل الكتاب (سلعةً) استهلاكيَّة موسميَّة، إلى جانب كون معظم الكتب الحاصلة على

جوائز في عِداد الكتب النافدة، والعزيزة المنال، وهذا ما ليس له نظير في معظم الجوائز الغربيَّة التي تعتمد في شروطها على الإنتاج الحديث الذي تنفثه المطابع ودور النَّشر في مواسم تلك الجوائز، [٩] وفي صورة استطاعت أن تجعل من هذه الجوائز سوقاً إعلانيَّة كبرى لهذه (السِّلع) الثقافيَّة التي تجابه الجماهير في كلّ مكان، في الوقت الذي استطاعت فيه هذه الجوائز أن تكون مشْغلةً للمواطن العاديّ الذي أخذ يتطلع إلى أمثال هذه المواسم الكثيرة والمتعدِّدة، والتي تكاد لا تنتهي، ويمارس قدرته على التنبؤ والتكهّن، بالرواية التي سيقع عليها الاختيار من بين تلك الروايات الفائزة المنشورة في العام ذاته! وهو ما لم تستطع أن تسهم فيه الجوائز الأدبيَّة العربيَّة في حفز الناشر العربيّ على جعل مواسم جوائزنا الأدبيَّة سوقاً لصناعة الكتاب والترويج له وتسويقه، لأنَّها ـ في غالبها ـ جوائز نخبويَّة، تدور في فلك المثقَّفين والمؤلَّفين، وفي إطار الاحتفاليَّات الكرنفاليَّة (النخبوية)، دون أن تلتفت إلى ضرورة تجذيرها في المجتمع العربيّ، بدءاً من الشارع اليوميّ وانتهاءً بالجامعة. إنَّني لا أظنُّ أنَّ جوائزنا العربيَّة أسهمت في دعم صناعة الكتاب العربيّ وترويجه بين جماهير القراء المثقَّفين، فضلاً عن المواطن العاديّ! هل حقَّق فوز عبد القادر القطّ وإحسان عبَّاس وشوقي ضيف وعبدالعزيز الدوريّ ويحيى حقّي وشكري عيَّاد بجائزة الملك فيصل العالميَّة، ومحمَّد مهدي الجواهري وعبد الرحمن منيف وإدوار الخرَّاط وصلاح فضل وزكي نجيب محمود وفؤاد زكريا وإبراهيم أصلان ويمنى العيد

وعبد الوهّاب البياتيّ بجائزة العويس، ونازك الملائكة ومصطفى ناصف وفدوى طوقان بجائزة البابطين، وخالد البرادعي وعبده بدوي وفاروق شوشة ومحمد عبد المطلب بجائزة محمد حسن فقي؛ هل حقّقت هذه الجوائز العربيّة ـ وغيرها ـ نسب توزيع مرتفعة للكتب الفائزة، أم أنّ القارئ المثقّف ـ دع عنك القارئ العاديّ ـ الذي يودّ مطالعة شيء من إنتاجهم لا يجده في متناول يده بسهولة، هذا إلى أنّ بعض الكتب لم يخرجها فوزها بجائزة ما، حتّى ولو كانت كبرى، من إطار الكتب التي نفدت من الأسواق منذ عقود وعقود!! وإذا عرفنا أنّ نجيب محفوظ، باعتباره شيخ الرواية العربيّة وأحد المتوّجين بجائزة نوبل، لم تحقّق نسب رواياته المطبوعة ـ في إحصائيّة غير رسميّة ـ سوى ١٠٠٠٠ نسخة![١٠]، على الرغم من تاريخه الروائيّ المديد، وعلى الرغم من الجوائز العديدة التي حازها، وعلى رأسها نوبل، وعلى الرغم من كونه ذا جماهيريّة كبيرة في الفئات الشعبيّة التي عرفته من خلال رواياته التي تحوّلت إلى أفلام! فما بالك بالأدباء العرب الآخرين الذين لم يحظوا بمثل ما حظي به هذا الروائيّ العتيد؟! وذلك لأنّ الجائزة الأدبيّة في وطننا العربيّ تنتهي بانتهاء الإعلان عنها، وعقد مراسم الاحتفال بها، ثمّ ينفضّ السّامر، مع أنّ المفترض أن يبدأ السّامر بانتهاء تلك المراسم! كما يحدث في صناعة الجوائز الغربيّة التي ما أن يعلن فيها أسماء الفائزين، حتى يخرج الكتاب الفائز ـ وهو غالباً ما يكون روايةً ـ من عزلته، إلى تحقيق أرقام نشرٍ قياسيّة، تحقّق مجموعة اهداف مثاليّة وعمليّة في

وقت واحد؛ بدءاً من نشر الثقافة في مختلف الطبقات، ومروراً بدخول صناعة الكتاب إلى معترك الاقتصاد الوطنيّ:

إذ تشير الإحصاءات الاقتصادية، لصناعة الكتاب في العالم إلى هذه الأرقام الدالّة:

● بلغت حركة إنتاج الكتاب في الولايات المتحدة الإمريكية، للعام ١٩٩٧م نحو مليار ونصف المليار دولار![١١]

● وبلغت مبيعات ألمانيا من الكتاب في العام ١٩٩٦م نحو مليار مارك ألماني (= ٦٠٠ مليون دولار إمريكي)![١٢] .

● وبلغت نسبة إنفاق المستهلكين على الكتاب في بريطانيا للعام ١٩٩٧م ٣٦ر٠ من إجمالي الناتج المحلي أي ما يوازي ٦ر١ مليار جنيه إسترليني![١٣]

وفي الوقت الذي لا نستطيع الزعم أن الكتاب العربي يشكّل أهمية كبرى في الاقتصاد الوطني للدول العربية مجتمعة! إذ إن صادرات الشرق الأوسط من الكتاب ـ في سنة من السنوات ـ بلغت ٤ ملايين دولار ـ باستثناء الكويت ولبنان اللتين لم تشملهما البيانات ـ جاءت صناعة الكتاب في الدول المتقدمة لتسهم في الاقتصاد الوطني، حيث شكلت صادرات بريطانيا من الكتاب عام ١٩٨٠م ١٦٪ من صادراتها، والأمر ذاته يقال بالنسبة إلى ألمانيا التي بلغت صادراتها من الكتاب نحو ١٢٪ من صادراتها![١٤]

ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، بل إنّ بعضاً من تلك الروايات الفائزة سرعان ما تجد نفسها قد تحوّلت إلى أعمال سينمائيّة ضخمة ذات مردود اقتصاديّ وفنّيّ عالٍ، تدفع المشاهد العاديّ - في دور لاينتهي - إلى رغبته الملحّة في الحصول على الأصل الكتابيّ لذلك الفيلم، ثمّ لا يلبث أن يجده معروضاً في رفوف الإصدارات الحديثة عند محطات القطار، أو في الأماكن العامّة! فالفيلم يقود إلى الرواية، والرواية تقود إلى الفيلم.. وهكذا، والفائدة - في الأخير - يقتسمها أطراف الجائزة الأربعة: الكاتب - النّاشر - القارئ - المجتمع.

وهذا ما يدعو - فيما أرى - إلى إخراج الجائزة من نخبويّتها المؤسّسيّة، وجعلها موسماً يستهدف القارئ قبل الكاتب، وتحويلها من مراسم احتفاليّة إلى جزءٍ من هموم المواطن العاديّ، حينما تغدو صناعةً استهلاكيّة، كغيرها من الصناعات الاستهلاكيّة (الكماليّة) الذائعة الانتشار والرواج، بشرط أن يحكمها المنطق الإعلانيّ الذي يستهدف رواج المعلن عنه، ويصبح الكتاب سلعةً، ولكن محترمة، في يد القارئ (المستهلك) الذي يعود إليه، في الأخير، تفضيل سلعة على أخرى!!

هوامش الفصل السابع

١ـ كما حصل في ترشيح إحدى الروايات لجائزة بوكر عبر الإنترنت، في العام ١٩٩٨م.

٢ـ الشرق الأوسط ٢٦ أغسطس ١٩٩٧م، وأشارت مجلّة الآداب في عدد من أعدادها الصادرة في العام ١٩٦١م، إلى أنّ دور النّشر الفرنسيّة ـ ومع بداية موسم الجوائز ـ تحقّق نحو ٥٠٪ من أرباحها السنويّة!

٣ـ الحياة ١٩٩٨/٩/٨م.

٤ـ لم نتعوّد في الوطن العربيّ على الأرقام الفلكيّة للتوزيع، إذ إنّ معدّل نسخ الكتاب العربيّ تتراوح، في متوسطها، بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ نسخة! في حين غدا من الطبيعيّ أن نقرأ عن نسب التوزيع العجائبيّة للكتاب في الغرب، فرواية ذهب مع الريح استطاعت أن تحقّق مبيعاتها، منذ صدورها، نحو ستة ملايين نسخة! وتربّعتْ رواية (شوغان) للروائيّ الإمريكيّ جيمس كلاقيل على قمة هرم الكتب الأكثر توزيعاً مدّة ٣٢ أسبوعاً، في الوقت الذي حقّقت مبيعاتها من طبعتها الشعبيّة، فقط، ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف نسخة!! محسن محمد، ص٨٨.

٥ـ حقّق فوز إحدى الروايات بجائزة الغونكور الفرنسيّة للكاتب وحده ما ناف على مئة ألف فرنك! شعبان خليفة، ص ٥٨٥، ولا يغيبنّ عن ذهننا ما حققته مبيعات رواية (الماندرين) لسيمون دي بوفوار من رخاء اقتصاديّ وعيش منعّم!

٦ـ أحمد محمد القلال، الناشرون ونشر المطبوعات (منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م)، ص ١٧٥ . وينظر، كذلك: شعبان خليفة، ص ٣٠، وفي إحصائيّة أحدث لمنظمة اليونسكو بلغت نسبة الكتب ٨ر٠٪! حسن العودات، المنظمة والمستقبل الإعلامي العربي،(المجلّة العربيّة للثقافة، الصّادرة عن المنظّمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم،ع ٣٠، مارس ١٩٩٦م)، ص ٥٠.

٧ـ أحمد محمد القلال، ص ١٩٠.

٨ـ يُنظر في هذه الإحصائيَّة: شعبان خليفة، ص ٣١، والجدير بالذكر أن كتابه صادر عام ١٩٩٣م، وتمثِّل هذه الإحصائيَّة متوسط السنوات الخمس السَّابقة لإصدار الكتاب، مع الإشارة إلى أنَّ بعض هذه الأرقام قد ارتفعت! هذا إلى أنَّ الوطن العربيَّ المجيد يعدّ خارج المنافسة ـ كعادته ـ في مجال الترجمة إلى العربيَّة، إذ بينما جاء مجموع ما تُرْجم إلى اللغة العربيَّة ـ كما تحدِّدها الإحصائيَّات ـ على النَّحو التَّالي:

١٩٧٦م ١٩٧٧م ١٩٧٨م ١٩٨١م

١٦٦ ١٦٤ ٢٣٨ ١٨٣

شعبان خليفة، ص ٣٦، ٣٧.

كان ترتيب الدول العشر الكبرى في مجال التَّرجمة على هذا النَّحو:

الاتِّحاد السوفيتيّ السَّابق	٧٠٠٠ عنوان
ألمانيا الغربيَّة (سابقاً)	٦٥٠٠ عنوان
أسبانيا	٤٥٠٠ عنوان
هولندا	٢٧٠٠ عنوان
اليابان	٢٥٠٠ عنوان
فرنسا	٢٤٠٠ عنوان
إيطاليا	٢٠٠٠ عنوان
الولايات المتَّحدة	١٥٠٠ عنوان
السويد	١٤٠٠ عنوان
الدنمارك	٨٠٠ عنوان

شعبان خليفة، ص ٣٤، ٣٥ .

وفي الوقت الذي يعاني فيه الكتاب العربيّ من عدم ذيوعه في سوق القارئ

الغربيّ، يختلف الوضع بالنسبة إلى ألف ليلة وليلة، حيث" . . تُرجمت سنة ١٩٧٧ ستّاً وأربعين مرّة في ثلاث عشرة دولة، مقابل اثنتين وستين مرّة في أربع عشرة دولة سنة ١٩٧٦، وفي خلال خمس سنوات (١٩٦١-١٩٦٥) تُرجمت مئة وأربعاً وستين مرّة"!! شعبان خليفة، ص ٣٩. وفي إحصائيّة أقرب إلى الخيال الشعريّ أشارالشاعر أحمد عبد المعطي حجازيّ إلى أنّه بينما تترجم فيه اليونان ٢٥٠٠٠ عنوان، وتركيا ١٨٠٠٠ عنوان، تقوم مصر بترجمة ١٠٠عنوان!! ورد في: نبيل علي، العرب وعصر المعلومات (عالم المعرفة،الكويت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ١٩. ولا أدري من أين جاء شاعرنا الكبير بهذه الإحصائيّة الغريبة التي فاق فيها الرّقمان اليونانيّ والتركيّ، حتّى الاتّحاد السوفيتيّ السّابق، الذي يتربّع على هرم الترجمة! ولمعاينة الإنتاج الدوليّ للكتاب - بصورة أكبر - يمكن مطالعة: شعبان خليفة، حيث يمكن رصد أرقام إنتاج الكتب في مختلف دول العالم، بما فيها الدول العربيّة.

٩- الآداب، العدد ١١، نوفمبر ١٩٦١م.

١٠- غالي شكري، أقواس الهزيمة: وعي النخبة بين المعرفة والسلطة (دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م)، ص ٢٩٣. ويشير رجاء النقاش إلى أنه بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، ارتفع توزيع أعماله المترجمة إلى اللغات الأجنبية مئات المرّات! ويذكر أنّ أحد أصحاب المكتبات في القاهرة - وحدها - كان يبيع للأجانب، بعد إعلان الفوز بالجائزة ". . خمسين مجموعة من الأعمال المترجمة لنجيب محفوظ، أي أنه قد باع خلال شهرين فقط بعد إعلان فوز نجيب محفوظ بنوبل ما يقرب من ثلاثة آلاف مجموعة. ."! ص ٣٩.

١١- راشد العجيل، (مجلة قرطاس، ع ٣٣، أكتوبر ١٩٩٨م)، ص ٥.

١٢- الشرق الأوسط ١٩٩٧/٩/١٤م.

١٣- الأربعاء ١٤١٩/٥/١٨هـ .

١٤- أحمد محمد القلال، ص ص ٣٥، ٣٦، ٣٧.

خـــتـــام

إنَّني أتصوَّر أنَّ مستقبل الثقافة ـ في بلادنا على الأقلّ ـ يمكن أن تسهم في إثرائه مجموعة اعتبارات، تأتي الجوائز الأدبيَّة والفنِّيَّة في مقدِّمتها، وذلك بجعلها حافزاً للإبداع الفكريِّ، ووسيلةً من وسائل إشاعة المعرفة بين مختلف الطبقات، ومصدراً من مصادر الصناعة الاقتصاديَّة للكتاب، من خلال هذه الخطاطة التي تستهدف تلك الآمال جميعها:

● تخصيص جوائز سنويَّة لأفضل كتاب محلِّيّ، يصدر في العام: (ديوان شعر ـ رواية ـ مجموعة قصصيَّة ـ نقد أدبيّ ..).

● تخصيص جائزة لأفضل إصدار في معارض الكتاب الدوليَّة التي يُفْتَرضُ أن تقام سنويّاً في بلادنا.

● تخصيص جوائز موجّهة، تهدف إلى استزراع نوافذ فكريَّة وأدبيَّة جديدة، أو غير متجذِّرة في خطابنا الثقافيّ بصورة قويَّة: مثل جوائز لأفضل الأعمال المقدَّمة في مجالات (المسرح ـ أدب الطفل ـ الفلسفة والعلوم الاجتماعيَّة..)، وهذا ما يعني أنَّ مثل

هذه المجالات النّادرة ـ أو المعدومة ـ سوف تجد مناخاً إبداعيّاً، تدشّنه أمثال هذه الجوائز، ما يعني شرعيّتها وتسييقها في واقعنا الاجتماعيّ.(١)

● تجاوز النظرة المثاليّة البحتة إلى الجوائز، والخروج بها من الطابع النخبويّ، لتصبح جزءاً من الثقافة الاجتماعيّة في صورتها الشعبيّة، من خلال تحويل الجائزة من المراسم الاحتفاليّة إلى كونها (صناعةً) بالمفهوم الاقتصاديّ. إذ ما قيمة أيّ جائزة في العالَم إن لم تسهم ـ وفي وقت واحد ـ في ترويج الكتاب الفائز، والخروج به من نفق النخبة المثقّفة، إلى فضاء الجماهير القارئة، خوفاً من أن تتحوّل الجائزة الأدبيّة إلى طوق مسيِّج بالنخبويّة التي جاءت الجوائز المؤسسيّة لتكسرها، وهو ما يعني على المستوى الثقافيّ: زيادة القاعدة المعرفيّة والقرائيّة بين عامّة النّاس، وهذا مطلب مثاليّ للدول والمؤسّسات الثقافيّة، ودعم الاقتصاد الوطنيّ في مجال النشر والكتاب، عن طريق جعل هذه الكتب الفائزة ـ وغيرها ـ سلعةً استهلاكيّة (محترمةً)، يطلبها القارئ (العاديّ)، بعد انتهاء موسم الجائزة الأدبيّة، وتشكّل للناشر ـ وهو بوجه أو بآخر تاجر ـ سوقاً خصبة، لهذه السّلعة المحترمة، وهذا ما يعني أنّ الجوائز الأدبيّة المحلّيّة يمكنها ـ إذا أرادت لنفسها أن تتحوّل إلى صناعة ثقافيّة واقتصاديّة ـ أن تسهم في حركة النشر وصناعة الكتاب في المملكة، وتعمل على إخراجه من صورته الكمّيّة المتواضعة، التي لا تتوازى

مع المساحة الجغرافيَّة للمملكة، أو بنيتها السُّكَّانيَّة المتنامية، حيث تعدّ حركة النَّشر والتأليف في المملكة ضعيفةً، قياساً إلى البلدان العربيَّة الأخرى، إذ جاءت حركة نشر الكتاب فيها، ما بين العامين ١٤٠٠هـ - ١٤٠٥هـ - بحسب الإحصاءات التي أوردها يحيى ساعاتي - على النَّحو التالي:

العام	عدد الكتب
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م	٣٣٥ عنواناً
١٤٠١هـ/١٩٨١م	٣٥٧ عنواناً
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م	٣٠٣ عناوين
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م	٣٥٢ عنواناً
١٤٠٤هـ/١٩٨٤	٢١٤ عنواناً
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	٢١٥ عنواناً (٢)

● إشراك رؤوس الأموال المحلِّيَّة - عن طريق المؤسّسات الاقتصاديّة الكبرى والصغرى - في تمويل المشاريع الثقافيَّة والعلميَّة التي من شأنها توطين المال الوطنيّ في مجالات الإعلام والثقافة والعلوم، وهو مايعني - بالمعنى الاقتصاديّ - تبادل المصالح المشتركة، التي تكفل، وفي وقت واحد، تحقيق طموحات العلماء

والمفكّرين والأدباء لإنجاز مشاريعهم المعطّلة، والتي قد يتطلّب إنجاز بعضها مبالغ طائلة، وتسويق المنتج الاقتصاديّ والتجاريّ - بالنسبة إلى رجال الأعمال - الذي يصاحب أمثال هذه المشاريع الثقافيّة، والتي تأتي الجوائز الأدبيّة والفنّيّة والعلميّة من ضمن حقولها. (٣)

● تحويل موسم إعلان الجوائز الأدبيّة (المحلّيّة) إلى حدث ثقافيّ جماهيريّ، وذلك من خلال عدم الاقتصار على الاحتفاليّة المراسميّة التي ترافق، عادةً، الجائزة. إذ لا يكفي، فيما أرى إليه، أن يتحوّل موسم إعلان الجوائز الأدبيّة إلى مادةٍ خبريّة عابرة وصمّاء في صفحاتنا الأدبيّة، في الوقت الذي يُفْتَرَض فيه أن تكون مثل هذه الأخبار ميداناً خصباً للسجالات الأدبيّة، ومساحةً حرّةً لتداول الرأي (النّقديّ) في هذه الإصدارات، عن طريق إبراز السّمات الأسلوبيّة والفنّيّة التي سوّغت حيازتها لهذه الجائزة أو تلك، بل ومحاكمة هذه الإصدارات - وكذلك الجائزة - إن لزم الأمر، تأسيساً للتعدّديّة الفكريّة والاجتماعيّة، وتدشيناً لمناخ فكريّ منفتح على مختلف التوجّهات الثقافيّة.

هوامش الختام

١ـ أخذ نادي أبها الأدبي بهذا الاقتراح استناداً إلى هذه الأفكار.

٢ـ النَّشر في المملكة العربيَّة السعوديَّة: مدخل لدراسة (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ص ٢٨، ٣٣. وينظر كذلك: سعد الضبيعان، صناعة الكتاب في المملكة العربية السعودية، ترجمة جعفر إبراهيم التاي، جـ١، (عالم الكتب، مج ٨، ع ٤، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ)، ص ٤٩٥.

٣ـ ذكر أرمان ماتلار أنَّ إسهامات رجال الأعمال في الأنشطة الثقافيَّة بأسبانيا عام ١٩٨٨".. تكاد تساوي نصف ميزانيَّة وزارة الثقافة .."! إمبراطورية الإعلان، ترجمة عزة أبو النصر (دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩١م)، ص ١٢٢، والجدير بالذكر أنَّ مؤسَّسة فورد العملاقة لصناعة السيَّارات خصَّصت عائدات ماليَّة ضخمة للعمل التربويّ، حيث".. قامت بتوزيع ١٨٢ مليون دولار عام ١٩٨٧.."! أرمان ماتلار، ص ١٢٣، كما أنَّ مؤسَّسة الكويت للتقدُّم العلميّ تعتمد، في جزء من ميزانيَّتها، على إسهام الشركات الأهليَّة التي تقدِّم ٥٪ من صافي أرباحها السَّنويَّة، إضافة إلى الدَّعم الحكوميّ لها. (مجلَّة العربيّ، أغسطس ١٩٩٧م)، ص ١٠٩.

قائمة المراجع

أولاً : الكتب

أحمد أمين

- ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٧١م.
- ظهر الإسلام،دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، د٠ت.

أحمد عبد الغفور عطار

- الصحاح ومدارس المعجمات العربية، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، د٠ت.

أحمد محمد القلال

- الناشرون ونشر المطبوعات، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.

أرمان ماتلار

- إمبراطورية الإعلان، ترجمة عزة أبو النصر، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

ألكسندر ستيبتشفيتش

- تاريخ الكتاب، ترجمة محمد م. الأرناؤوط، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية

- جائزة الملك فيصل العالمية في عشر سنوات، الرياض،١٤٠٨هـ.

التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس

- رسائل أبي حيان التوحيدي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار طلاس، دمشق، د.ت.

الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد النيسابوري

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الكناني

- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

جرجي زيدان

- تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.

- تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

جلال الخياط

- التكسب بالشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٠م.

حسن إبراهيم حسن

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط١٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد

- المقدمة، تحقيق علي عبدالواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، ط٣، ١٩٨١م.

درويش الجندي

- ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر ونقده، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م.

رجاء النقاش

- في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ابن رشيق، أبو علي، الحسن القيرواني الأزدي

- العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

روبير اسكاربيت

- سوسيولوجيا الأدب، ترجمة آمال أنطوان عرموطي، منشورات عويدات (زدني علماً)، بيروت ـ باريس،ط٢، ١٩٨٣م.

رولان بارت

- البلاغة القديمة، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك، المغرب، ١٩٩٤م.

رونالد باركر وروبيرت اسكاربيت

- حركة نشر الكتاب في الدول النامية، ترجمة شعبان عبدالعزيز خليفة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧ـ١٩٧٨م.

ريجيس بلاشير

- تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

زكي نجيب محمود

- أفكار ومواقف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

زيد بن عبد المحسن الحسين

- جائزة الملك فيصل العالمية ودلالاتها الحضارية، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ساطع الحصري

- ثقافتنا في جامعة الدول العربية، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٢م.

سعيد الأفغاني

-أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

سليمان البستاني

- مقدمة إلياذة هوميروس، د.ن، ١٩٩٤م.

الشريشي، أبو العباس، أحمد بن عبد المؤمن القيسي

- شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

شعبان خليفة

- الكتاب الدولي: دراسة مقارنة في حركة النشر،المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٣م.

شكري عياد

- نحن والغرب، كتاب الهلال، القاهرة، ١٩٩٤م.

شوقي ضيف

- تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٨٢م.

- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.

صالح أحمد العلي

- الحجاز في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

طه الحاجري

- مقدمة كتاب البخلاء للجاحظ، دار المعارف،القاهرة، ط٥، ١٩٩٠م.

عباس محمود العقاد

- شاعر أندلسي وجائزة عالمية، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، ط٥، ١٩٩٠م.

- يوميات، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

ابن عبدربه، أبو عمر، أحمد بن محمد الأندلسي

- العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الإبياري وعبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

عبلة الخوري

- فائزون بجائزة نوبل للآداب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

عبد العزيز الدوري

- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، ط٥، ١٩٨٧م.

عبد المجيد زراقط

الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

علي شلش

- علامات استفهام في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

غالي شكري

- أقنعة الإرهاب: البحث عن علمانية جديدة، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

- أقواس الهزيمة: وعي النخبة بين المعرفة والسلطة، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

- نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩١م.

فكتور سحاب

- إيلاف قريش، كومبيو نشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم

- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

قضايا الساعة

- صناعة الكتاب بين الأمس واليوم، ترجمة رجاء ياقوت صالح، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٧م.

كارل بروكلمان

- تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٣م.

لجنة نوبل

- مؤسسة نوبل: ما هيتها ونظامها، الدار القومية للنشر، د.م، ١٩٦٦م.

مبروك المناعي

- الشعر والمال: بحث في آلية الإبداع الشعري عند العرب من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

محسن محمد

- إنهم يقتلون الأدباء، مكتبة غريب، القاهرة، د.ط، د.ت.

محمد صالح البليهشي

- مسيرة نادي المدينة المنورة في ٢٠ عاماً، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

محمد غنيمي هلال

- النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة،د.ت.

محمود فوزي

- اعترافات نجيب محفوظ، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

- يوسف إدريس على فوهة بركان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

محمود قاسم

- جائزة الملك فيصل: دراسة مقارنة مع الجوائز العالمية، كتاب الرياض، ١٩٩٧م.

- موسوعة جائزة نوبل، مكتبة مدبولي، القاهرة،د.ت.

المرزباني، أبو عبد الله، محمد بن عمران

- الموشح في مآخذ العلماء على الأدباء، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

المعري، أبو العلاء، أحمد بن سليمان

- رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، القاهرة، ط٩، ١٩٩٣م.

نبيل علي

- العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

نجيب البهبيتي

- المعلقات سيرةً وتاريخاً، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- المعلقة العربية الأولى عند جذور التاريخ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

نادي أبها الأدبي

- لائحة جائزة أبها الثقافية، ١٤١٧هـ.

نادي الطائف الأدبي

- الأندية الأدبية في سطور، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

وارين فرينش ووالتر كيد

- جائزة نوبل للآداب: دراسة عن الأدباء الفائزين،تعريب إميل خليل بيدس، دار الآفاق الجديدة، بيروت،د.ط، د.ت.

وهب رومية

- بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: قصيدة المدح نموذجاً، دار سعد الدين، دمشق،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ثانياً: الدوريات

- إبداع (القاهرة).
- الثقافة العالمية (الكويت).
- الجزيرة (الرياض).
- الحياة (لندن).
- الخليج (الإمارات).
- الرياض (الرياض).
- الشرق الأوسط (لندن).
- الشروق (الإمارات).
- العرب (الرياض).
- العربي (الكويت).
- عكاظ (جدة).
- فصول (القاهرة).
- القافلة (الظهران).
- القاهرة (القاهرة).
- قرطاس (الكويت).
- القبس (الكويت).
- لوموند ديبلوماتيك ـ النسخة العربية ـ (باريس).
- المجلة العربية (الرياض).

- المجلة العربية للثقافة (تونس).
- المدينة (جدة).
- المنهل (جدة).
- الهلال (القاهرة).
- اليوم (الدمام).

ثالثاً: مراكز المعلومات

- مركز معلومات مؤسسة الملك فيصل الخيرية (الرياض).
- مركز معلومات مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر(جدة).
- مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
فاتحة	٨
علامية الجائزة	١٣
العالَم جوائز	٤٧
منطق الجائزة	٦٥
العتبة	٧٧
نوبل٠٠ بارانويا عربية مزمنة	٩٩
المقدَّس والمدنَّس	١١٣
بورصة الجوائز	١٢١
ختام	١٣٣
قائمة المراجع	١٣٩
المحتويات	١٥٢

وتختلف (الجائزة) ـ بألف لام العهد ـ عن كلّ الجوائز الأخرى، حيث تتحوّل تلك الجوائز إلى مجتمع طبقيّ أشبه ما يكون بالمجتمع الإنسانيّ، فللجوائز حسبٌ ونسبٌ، فهناك جائزة نبيلة لا تمنح إلا للنبلاء، وهناك جائزة كادحةٌ تبحث عن الدهماء، وكما أنّ هناك زحاماً على جوائز بعينها، فإنّ هناك جوائز تبتذل نفسها، حينما تبحث عن خطّاب لها، ويمكن أن ترجع إلى مقرّها بخفّي حُنين لأنّها لا تشرّف خاطبيها! ولمّا كانت الجوائز الأدبيّة علامة ـ بالمفهوم السيميائيّ ـ من علامات المجتمعات الحديثة، فإنّها تخضع في ذيوعها ورواجها إلى المفهوم التسويقيّ للعلامة التّجاريّة، التي يتدخّل في انتشارها، والإقبال عليها، قيمتها الأدبيّة، ومصدر إنتاجها، إضافةً إلى تلك المقاييس العالميّة (الاقتصاديّة) التي تخضع المُنتَج إلى مسألة العرض والطّلب، ما يعني رواج منتَج أو منتجَيْن أو ثلاثة، وشدّة الإقبال عليها، وبقاء سائر المنتَجات (الجوائز) في مستوًى واحد من الإنتاج، وقد يتعرّض بعضها إلى الكساد، أو أن يمكث في الظلّ لا يبرحه!

رقم الإيداع: ١٩/٣٠٢٦
ردمك: ١-٢١-٦٢٣-٩٩٦٠